جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة
دراسة تطبيقيّة في جزء عمّ

إعداد

محمّد أسامة شحادة

إشراف

د. عامر جود الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام) بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس –فلسطين.

2023م

الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة

دراسة تطبيقيّة في جزء عمّ

إعداد

محمّد أسامة شحادة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2023/00/00، وأجيزت.

د. عامر جود الله	
المشرف الرئيس	التوقيع
د.	
الممتحن الخارجي	التوقيع
د.	
الممتحن الداخلي	التوقيع

الإهداء

إلى الرسول الأكرم والنبي الأعظم، خاتَم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغُرّ المحجلين إلى جنّات النعيم سيّدنا ومولانا محمّد صلّى الله عليه وسلّم

إلى صحابته وآل بيته الأتقياء الأخيار

إلى كلّ من سار على هَدي النّبي المختار، واقتفى أثرَ صحابته الأطهار

إلى كلّ محبٍّ لكتاب الله العزيز

إلى كلّ موحّد مُعتزٍ بهذا الدين الإسلاميّ الحنيف

إلى كلّ طالب عالم مستمسك بالعروة الوثقى

إلى والديَّ العزيزَيْن الغاليَيْن الكريمين، منبعِ الحنان ورمزِ التضحية والعطاء، أطال الله عمرهما وأعانني على برهما

إلى زوجتي الحبيبة الغالية، التي لطالما عاونتني ودعمتني وشجعتني

إلى ابنتي وقرّة عيني ومهجة فؤادي "رولا"

إلى كلّ أقاربي وإخواني وزملائي وشيوخي

إلى كل من مدّ يد العون والمساعدة

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذه الأطروحة

سائلًا المولى عزّ وجلّ الإخلاص والقبول

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر والثناء له على ما أفاض علينا من النّعم السابغات، ثم الصلاة والسلام على خير الأنام، ومعلّم النّاس الخير، القائل: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّه"[1].

فعملًا بقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وسيرًا على هديه، أتقدّم بخالص الشكر وجزيل التقدير وعظيم العرفان إلى أستاذي القدير "الدكتور عامر جود الله" الذي تفضّل عليَّ بقَبول الإشراف على هذه الرسالة، فجاد عليَّ بالإرشادات المفيدة، والتوجيهات السديدة، والعلم الغزير، والخبرة الواسعة، والنظرة الثاقبة، بأسلوبه الراقي، وأدبه الرفيع، الذي لولاه لما خرجت هذه الرسالة بالحلّة التي تزهو بها، فأسأل الله أن يبارك له في عمره، وينفعه في علمه، ويجزيه عنّا خير الجزاء.

كما وأتقدّم بخالص الشكر والامتنان للأستاذيْن الفاضليْن الذَيْن تفضّلا عليَّ بقبول مناقشة هذه الرسالة فحفظهما الله وبارك بهما وجزاهما عنّا خير الجزاء.

[1] الترمذي، محمد بن عيسى (ت279هـ): جامع الترمذي. 5مج. تحقيق: شاكر، أحمد. ط2. مصر: مصطفى البابي الحلبي. (1975م-1395هـ). وقال الترمذي: هذا حديثٌ صحيح، ج4 ص339.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة
دراسة تطبيقيّة في جزء عمّ

أقر بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: **محمّد أسامة شحادة**

التوقيع:

التاريخ: **2023/00/00**

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج
الشكر والتقدير ..... د
الإقرار ..... هـ
فهرس المحتويات ..... و
فهرس الجداول ..... ح
الملخص ..... ط
مقدمة 1
الفصل التمهيدي: مفاهيم الدراسة 8
المبحث الأوّل: مفهوم الانفعال 8
المطلب الأوّل: الانفعال في اللّغة والاصطلاح 8
المطلب الثاني: أسباب حدوث الانفعال 10
المبحث الثاني: النّفس في المنظور الإسلاميّ 12
المطلب الأوّل: معنى النّفس في اللّغة والاصطلاح 12
المطلب الثانيّ: أنواع النّفس التي وردت في القرآن الكريم 16
المبحث الثالث: مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم 19
المطلب الأوّل: التّعريف بيوم القيامة 19
المطلب الثاني: المشهد الأخروي في الخطاب القرآنيّ 25
المطلب الثالث: مَقصِد الخّطاب القرآنيّ من الاسترسال في ذكر مشاهد يوم القيامة في جزء عمّ..... 30
الفصل الأول: الانفعالات النفسيّة لأصحاب اليمين 32
المطلب الأول: مفهوم الفرح في اللغة والاصطلاح 33
المطلب الثاني: تصوير مشاهد الفرح في اليوم الآخر من جزء عمّ 36
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير مظاهر انفعال الفرح في مشاهد يوم القيامة. 41
المبحث الثاني: انفعال الرّضا 43
المطلب الأول: مفهوم الرّضا في اللغة والاصطلاح. 43
المطلب الثاني: مشاهد الرّضا لأصحاب اليمين في جزء عمّ 44
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الرضا في مشاهد يوم القيامة 49
المبحث الثالث: انفعال الطّمأنينة 52
المطلب الأول: مفهوم الطّمأنينة في اللغة والاصطلاح 52
المطلب الثّاني: مشهد الطّمأنينة لأصحاب اليمين في جزء عمّ 53
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الطمأنينة في مشاهد يوم القيامة 55

المبحث الرابع: انفعال الاستبشار 57
المطلب الأول: مفهوم الاستبشار في اللغة والاصطلاح. 57
المطلب الثّاني: مشهد الاستبشار لأصحاب اليمين في جزء عمّ 58
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الاستبشار في مشاهد يوم القيامة. 59
الفصل الثاني: الانفعالات النفسيّة لأصحاب الشمال 62
المبحث الأول: انفعال النّدم 62
المطلب الأول: مفهوم النّدم في اللغة والاصطلاح. 62
المطلب الثاني: مشاهد النّدم لأصحاب الشّمال يوم القيامة. 64
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الندم في مشاهد يوم القيامة. 67
المبحث الثاني: انفعال الحزن 70
المطلب الأول: مفهوم الحزن في اللغة والاصطلاح. 70
المطلب الثاني: مشاهد انفعال الحزن في جزء عمّ 71
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الحزن في مشاهد يوم القيامة 73
المبحث الثالث: انفعال الذُلّ 75
المطلب الأول: مفهوم الذُلّ في اللغة والاصطلاح 75
المطلب الثاني: مشاهد الذل لأصحاب الشّمال في يوم القيامة. 76
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الذُلّ في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم. 81
المبحث الرابع: انفعال الفزع 84
المطلب الأول: مفهوم الفزع في اللغة والاصطلاح. 84
المطلب الثّاني: مشهد انفعال الفزع في جزء عمّ. 85
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الفزع في مشاهد يوم القيامة 91
المبحث الخامس: انفعال اليأس 95
المطلب الأوّل: مفهوم اليأس في اللّغة والاصطلاح 95
المطلب الثّاني: مشاهد انفعال اليأس في جزء عمّ. 97
المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال اليأس في مشاهد يوم القيامة 102
الخاتمة 105
قائمة المصادر والمراجع 107
Abstract ..... B

فهرس الجداول

جدول 1: مثال على المقابلة بين صور النعيم وصور العذاب في الآخرة من آيات سورة الفجر 29

جدول 2: مشاهد الفرح والنعيم في جزء عم 41

الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة
دراسة تطبيقيّة في جزء عمّ

إعداد
محمد أسامة أحمد شحادة
إشراف
د. عامر جود الله

الملخص

لقد عني القرآن بذكر يوم القيامة واصفًا أهوالَه ومشاهدَه وأحوالَ النّاس فيه، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن إلا وقد ذكرته، وقد خُصَّ جزء عمّ في هذا البحث دون غيره؛ لأنّه يغلب عليه ذِكْرُ القيامة، وتصوير أهوالها، علاوة على أنّه تميّز بأسلوب خاصّ، في تصوير تلك المشاهد من حيث صوتُ الحرف، وجَرْسُه، وبنيةُ الكلمة، وفاصلةُ الآية، فتُصَوِّرُ بدقةٍ حالات الخوف التي تُفزع الكافرين، وحالات الفرح والسرور التي تُطمئن المؤمنين.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهجين: التحليلي، والاستقرائي، مركّزًا على الانفعالات النفسيّة، التي أشارت إليها الآيات القرآنيّة من جزء عمّ، وتحدّثت عن حالات النّاس النفسيّة في يوم القيامة، كالحزن، والفرح، والخوف، والطمأنينة، وغيرها من الانفعالات.

فاشتملت هذه الدراسة على ثلاثة فصول؛ فصلٍ تمهيدي، وفصلين تطبيقيَين:

في الفصل التمهيدي وضّح الباحث مفهوم الانفعال، ثم بيّن معنى النفس في المنظور الإسلاميّ، وأنواعها، والعوامل المؤثرة فيها، ثم تحدّث عن المشهد الأخروي في الخطاب القرآني، ومقاصده.

وفي الفصل الثاني تحدّث الباحث عن انفعالات أصحاب اليمين في جزء عمّ، فتناول أربعة انفعالات وهي: (الفرح، الطمأنينة، الاستبشار، الرضا) مفسّرًا معانيها، ومصورًا المشاهد التي وردت فيها، ومبينًا المقصِد من تصويرها.

وفي الفصل الثالث تكلَم الباحث عن انفعالات أصحاب الشمال في جزء عمّ، فتناول خمسة انفعالات وهي: (الحزن، الذُلّ، الندم، الفزع، اليأس) ففسّر معانيها، وصوّر المشاهد التي ذُكرت فيها، وبيّنت المقصد من تصويرها.

وقد خَلُصَتِ الدراسة إلى عدد من النتائج، تمثلت بأنّ القرآن قد اعتنى بتصوير الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة عناية بالغة، وهو ما ينبغي أن ينعكس على الخطاب الدعوي المعاصر، كما أنّ من مقاصد ذكر هذه الانفعالات، تقريب الصورة للقارئ، وترهيب العاصي من سوء العاقبة، وتحفيز المؤمن على فعل الخيرات.

الكلمات المفتاحية: الانفعال، النفس، أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، مشاهد يوم القيامة.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنعم على عباده المؤمنين بالفرح والسعادة والرضا، فهي الانفعالات التي يتحلّى بها من لم تستعبده الدنيا، وحرص على أعمال البر ومرضاة الرب جل وعلا، فقد أنزَلَ القرآنَ وجعله للعالمين نورًا وهدى، وتحدى به الإنس والجنّ فخابت محاولاتهم وذهبت سُدى، ودعا به إلى دار السلام فهي المأوى لأولي الألباب والنُّهى، وحذّر من السقوط في النّار ودركات الردى، ورهّب النّاس من اتباع الشهوات وعبّاد الهوى، فبيّن الحسرة والحزن والأسى، لكل من حاد عن سبيل الحق وهدي المصطفى.

وأصلّي وأسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين، الذي أرسله ربّه رحمة للعالمين، وحجّة على العباد أجمعين، وأخرج النّاس من الظلمات إلى النّور، ومن الهمّ والحزن، إلى الفرح والسرور.

وبعد، فإنّ الله أنزل القرآن، وأودع فيه معجزاتٍ عظيمةً، وآياتٍ حكيمةً، وبراهينَ وثيقةً، وحججًا دامغةً تدل على قدرة الله وعزته وإبداعه في خلقه، فخلق السماء بغير عَمَد، وخلق الطيور وجعلها تحلّق بالسماء دون إمساك أو تدريب من أحد، وجعل من آياته خَلْق الإنسان، فَتَكوينُهُ آية تدل على الواحد الفرد الصمد، فَبرَأَهُ ومتّعه بالمشاعر والانفعالات، التي تعينه على مواجهة الصعوبات، واجتياز العقبات، واتقاء المهلكات، فالمؤمن يفرح برحمة الله، ويسعى لنيلها بأعماله، فهي التي تمكّن خطواته، وتقيل عثراته، وتدفعه للفوز بجنّاته ورضوانه.

أما الخوف فهو الذي يَقِي الإنسان من الهلاك في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يبتعد الإنسان عن الأماكن الوعرة، والكائنات الخطرة؛ كي لا يُلقي نفسَه إلى التهلكة، أمّا في الآخرة فتُرهِبُ الإنسانَ ظلمةُ القبر وعذابُه، ويومُ القيامة وأهوالُه، وعذاب الجحيم، وحميمه وغسّاقه، فعندما ترتعد الفرائص خوفًا، يصحو النائم من سباته، ويستيقظ الغافل من غفلاته، ويسعى إلى امتثال أوامر الله واجتناب منهياته.

فقد بيّن الباري سبحانه وتعالى عديدًا من الانفعالات النفسيّة، التي يَشعُرُ بها النّاس يوم القيامة، ولإيماننا بأنّ كُلَّ شيء يُذكَرُ في القرآن له حكمةٌ وغايةٌ، جاءت هذه الدراسة لتضع الانفعالات النفسيّة ليوم القيامة تحت مجهر البحث، فيسلّط الباحث الضوء على دورها في خدمة السياق القرآني، ودورها في دعوة الناس رَغَبًا ورَهَبًا، وأسأل الله التوفيق والسّداد لما يحبه ويرضاه.

أولًا: مشكلة الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما مدى اهتمام القرآن الكريم بالانفعالات النّفسيّة؟
2. ما هي الانفعالات النفسيّة التي برزت في مشاهد يوم القيامة لأصحاب اليمين وأصحاب الشمال؟
3. كيف وظّف القرآن الكريم الانفعالات النفسيّة في تصوير مشاهد يوم القيامة؟
4. لماذا ركّز المنهج القرآنيّ على إبراز الحالة النفسيّة في أهوال يوم القيامة؟
5. ما هي أهم مقاصد تصوير الانفعال النفسي في مشاهد الآخرة؟

أهداف الدراسة:

1. بيان عناية القرآن الكريم واهتمامه بالانفعالات النفسيّة.
2. إحصاء الانفعالات النفسية الواردة في أهوال يوم القيامة من جزء عمّ لأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.
3. تحليل منهج القرآن الكريم في توظيف الانفعالات النفسية.
4. توضيح بعض أسباب تركيز المنهج القرآنيّ على الحالة النفسيّة في أهوال يوم القيامة.
5. بيان مقاصد الانفعالات النفسية في تصوير مشاهد يوم القيامة.

الدّراسات السّابقة:

بعد البحث والتّحري حول الدراسات التي قُدّمت في هذا الموضوع، فإنّ الباحث لم يجد دراسة مستقلة بحثت عنوان هذه الدراسة، إلا أنّ هناك بعض الفوائد والشوارد والإشارات التي استفاد الباحث منها، وقد وردت متفرقة في الكتب والدراسات الآتية:

1. سيد قطب، (ت: 1966م)، بيروت: دار الشروق: **في ظلال القرآن:**

يندرج هذا الكتاب ضمنَ قائمةِ كتبِ التفسيرِ المعاصرةِ، حيث فسّر القرآن الكريم كاملًا في ستة أجزاء الذي قدّم فيه مؤلفه (سيّد قطب) أسلوبًا فريدًا ومميزًا في تفسير القرآن الكريم، بأسلوب جَمَعَ فيه بين التفسير، والتحليل، والبلاغة، والتركيز على الجانب النفسيّ، وربط مواضيع القرآن مع الواقع المعاصر، بأسلوب أدبي رفيع.

وقد تميّز هذا الكتاب بتسليط الضوء على الحالات النفسيّة، لكنّه لم يسترسل بالحديث عنها، وإنما أشار إليها إشارة.

2. سيد قطب، (ت: 1966م)، القاهرة: دار الشروق: **مشاهد القيامة في القرآن الكريم:**

استعرض المؤلف مشاهد القيامة في القرآن الكريم، وركّز على المشاهد التي تتوافر فيها الصورة والحركة والإيقاع، وكانت منهجيته في الاستعراض، أنه يُراعي الترتيب التاريخي للآيات والسور، فيقدّم في الترتيب المشهدَ المتقدّمَ من حيث النزول على المشهد المتأخر، فصوّر المعاني والهدف الذي رامه المؤلف هو: إعادة عرض القرآن، وإحياء جماله الفنيّ الخالص، بأسلوبٍ سهلٍ ممتنعٍ من غيرِ تعقيدٍ، فقد استعرض معظم مشاهد القيامة التي وردت في جزء عمّ.

3. دراسة مصطفى، إبراهيم، (ماجستير)، جامعة النجاح، 2009 بعنوان: **الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم:**

تناولت هذه الدراسة الحديث عن الانفعالات النّفسيّة التي عايشها الأنبياء عليهم السلام من منظور قرآنيّ؛ فتطرقت إلى الانفعالات الآتية: (الخوف، الغضب، النّدم، اليأس، التبسم، العبوس)، فدرست من خلال هذه الانفعالات، شخصيّة الأنبياء، وعصمتهم، وذكرت المشاهد التي وردت في القرآن لكل انفعال، واستخرجت أهم القيم التربويّة لكل انفعال حدث مع الأنبياء.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

– أنّ الانفعالات النفسيّة هي عبارة عن حالات وجدانيّة داخليّة مفاجئة، يصاحبها تغيرات فسيولوجيّة ونفسيّة معًا.

– الانفعالات النفسيّة التي حدثت للأنبياء عليهم السلام لا تتنافى مع العصمة، لأنّها من العوارض البشريّة التي لا تنفك عن البشر في العادة.

4. دراسة عواد، عبد الله، جامعة الكوفة، 2012، بعنوان: **الانفعالات الإنسانيّة وضبطها بتعلم القرآن الكريم**

عملت هذه الدراسة على تحديد الانفعالات الإنسانيّة التي وردت في القرآن الكريم، وكيف تؤثر هذه الانفعالات على حياتنا اليوميّة، كما أنّها تُظهر دَورَ حلقات تحفيظ القرآن الكريم والعمل به على ضبط الانفعالات الإنسانيّة، وقد تطرقت هذه الدراسة إلى الانفعالات الإنسانية الآتية: الخوف، الحزن، الفرح، الغضب، الحبّ، الغيرة، الحسد، النّدم، الكره، العُجب.

ومن أهم ما توصل إليه الباحث في هذه الدراسة أنّ الانفعالات تساعد على تحديد السلوك الذي يسهم في استمراريّة الإنسان في الحياة وتوجيهه.

ومن مميزاتها أنها تنمو وأنها قابلة للتطوير والتعديل والتغيير بالتعليم والتدريب، فبالسيطرة على الانفعالات وضبطها تُجنى ثمارها وتظهر آثارها الطيبة في التفكير والسلوك.

5. دراسة محمود، آلاء، (ماجستير)، الجامعة الأردنيّة، 2014، بعنوان: **الانفعالات النفسيّة في القصص القرآنيّ وتصويرها الفنيّ:**

تُبرز هذه الدّراسة أهميّة نظريّة التصوير الفنيّ عند سيّد قطب، وتتمحور حول جماليّات الانفعال النفسيّ وخصائصه في القصة القرآنيّة، وتحديد معالم الانفعال ومظاهره وفقًا للتصوير الفنيّ، لم تتناول هذه الدراسة جميع الانفعالات التي وردت في القرآن، وإنما اكتفت بدراسة ستةٍ من الانفعالات الواردة في القصة القرآنيّة وهي: الخوف، الفرح، النّدم، الغضب، الحزن، السخرية.

توصلت هذه الدراسة إلى أنّ وجود التصوير الفنيّ في القصة القرآنية أدى إلى إبراز الانفعال النفسي بأبلغ تركيب وأبهى صورة، وأنّ القرآن الكريم صوّر الانفعالات النفسيّة ليرشد الإنسان إلى السبيل الذي يحافظ فيه على صحته النفسيّة، فيحقق هدفًا من الأهداف التي خلقه الله من أجلها ألا وهو عمارة الأرض.

6. دراسة عابد، حاتم، جامعة الطائف، بعنوان: **معالجة القرآن الكريم للانفعالات النفسيّة بين النظريّة والتّطبيق:**

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضَّوء نحو الجانب الانفعاليّ وتأثيراته في القرآن الكريم، فبيّنت الفرق بين الانفعالات والدوافع النفسيّة، وذلك بذكر أهم الانفعالات النفسيّة التي وردت بالقرآن في صور ومواقف مختلفة، وكيفيّة معالجة القرآن لها، كما أنها أسهبت في الحديث عن أنواع النفس البشريّة التي وردت في القرآن الكريم، وتطرقت إلى أثر الانفعالات النّفسيّة على سلوك الانسان.

ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة أنّ القرآن الكريم أرشد إلى تهذيب كثير من الانفعالات النفسيّة منها: انفعال الخوف والحبّ والنّدم.

وما يميز هذه الدّراسة عن غيرها من الدّراسات، أنّها دراسة قرآنيّة محددة ومتخصصة في جزء واحد من القرآن الكريم وهو جزء عمّ، ليست فضفاضة، وهذا التمحور والتمركز يُعين على زيادة التّمحيص والتّدقيق وإنعام النّظر في المسائل المطروحة، ويُمكّن الباحث من الإحاطة بجميع حيثيّات الموضوع وفروعه، علاوة على أنّها متخصصة بالانفعالات النفسيّة التي وردت في تصوير مشاهد يوم القيامة من هذا الجزء، فهي ليست متشعبة بجميع المواضيع والأجزاء والآيات التي وردت فيها الانفعالات النفسيّة.

أهمّيّة الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهمّيّتها، من كونها تبحث موضوع الانفعالات النفسيّة في جانب لم يُسبَق إليه من قبل، وهو جانب الانفعالات النفسيّة في مشاهد يوم القيامة، ولأنّها تعزز الإيمان وترسّخه، فهي تقرّب صورة الحالة النفسيّة للنّاس كافّة في اليوم الآخر، من خلال الانفعالات النفسيّة التي أوردها القرآن، واليومُ الآخر ركن من أركان الإيمان الذي اعتنى به القرآن عناية خاصة، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته إلا وفيها ذكر لليوم الآخر أو ما يتعلّق به، ولهذه الدراسة العديد من المميزات التي تعزز أهميتها، سيذكرها الباحث بنقاط موجزة، وهي كالآتي:

1. هذه الدراسة هي دراسة قرآنيّة، تخدم كتاب الله؛ فهي تعمل على تصوير الحالة النفسيّة للنّاس يوم القيامة، فتساعد القارئ للقرآن على تدبّر آياته والغوص في معانيه والعيش مع بيانه وإعجازه، ممّا يعينه على الخشوع والخضوع عند تصوّر تلك المشاهد، وهي رُتبة سامقة حثّ عليها القرآن.
2. هذه الدراسة هي أوّل دراسة علميّة تبحث جميع الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة في جزء عمّ.
3. تعمل هذه الدراسة على تعزيز الإيمان باليوم الآخر، كونها تجمع بين الترغيب والترهيب، فترغّب بالجنّة عند تصوير انفعالات أصحاب اليمين، وترهّب من النار عند تصوير انفعالات أصحاب الشمال.

تبيّن هذه الدراسة منهج القرآن في توظيف الانفعالات النفسيّة، ودورها في التصوير الفنيّ، وتأثيرها على نفسيّة القارئ، وما توصل إليه الباحث من مقاصد لذكر هذه الانفعالات.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على منهجين من مناهج البحث العلميّ؛ وهما المنهج الاستقرائيّ، وذلك باستقراء جميع آيات يوم القيامة التي وردت في جزء عمّ وتسليط الضَّوء على الانفعالات النفسيّة فيها وعزوها إلى سورها، ثم انتهج الباحث المنهج التحليليّ، فبيّن منهجيّة القرآن في توظيف الانفعالات النفسيّة لتصوير مشاهد يوم القيامة، ومدى اهتمامه بوصف الحالة النفسيّة في ذلك اليوم.

وقد اتبع الباحث الخطوات الآتية:

1. جمع الآيات التي تحدثت عن يوم القيامة وبيّنت الحالة النفسيّة للناس في ذلك المشهد.
2. تصوير المشهد من خلال الرجوع إلى كتب التفسير والدراسات العلميّة التي عنيت بهذا الموضوع.
3. إبراز الانفعال النفسيّ لكل مشهد وأثره في تصوير الحالة النفسيّة للناس في يوم القيامة.
4. اتباع المنهج العلميّ في توثيق الاقتباسات، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وعزو المعلومات لمصادرها.

الفصل التمهيدي

مفاهيم الدراسة

المبحث الأوّل: مفهوم الانفعال

معظم تصرفات الإنسان ناجمة عن انفعالاته، فيتصرف بحذر وتيقّظ عند الشّعور بالخوف، وبعفويّة وشفافيّة عند الشّعور بالفرح والاطمئنان، علاوة على أنّ الانفعالات النفسيّةَ لها الدورُ الأكبرُ في تكوين شخصيّة الفرد وصقلها، "فالانفعالات لها أهميّة بالغة في تكوين الشخصيّة الطبيعيّة للفرد"[1]

ولأهميّة الانفعالات في تكوين شخصيّة الإنسان، ولتأثيرها على تصرّفاته المصيريّة، سيبيّن الباحث في هذا المبحث، مفهوم الانفعال في اللغة والاصطلاح، ومعناه عند علماء النّفس، وأسباب حدوث الانفعال.

المطلب الأوّل: الانفعال في اللّغة والاصطلاح

أولاً: معنى الانفعال في اللّغة:

قال أبو البقاء الكفويّ: "(والانفعال: التأثّر وَقَبُول الْأَثر)"[2].

فالانفعال هو المصدر من الفعل (انفعل) ومعنى انفعل أي: "تأثّر بِهِ انبساطا وانقباضا"[3].

ومعنى "انفعل بأمرٍ: اهتاج، تأثَّر به؛ أثار الأمرُ مشاعرَه أو عواطفه، انفعل برؤية مشهد حزين– انفعل بالأحداث الجارية في الأراضي المحتلة".[4]

---

[1] بني يونس، محمد محمود: سيكولوجيا الدافعية والانفعال. 1مج. ط:2. الأردن: دار المسيرة. 2009، ص:226.

[2] الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء(ت: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. 1مج. تحقيق: عدنان درويش. محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. 2006. ص683.

[3] مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط. 1مج. القاهرة: مجمع اللغة العربية. ص695.

[4] مختار، أحمد (ت: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة. 4مج. ط: 1. عالم الكتب. ص1725.

ويرى الباحث أنّ معنى الانفعال هو مطلق التأثر وليس قَبول الأثر، فقد يتأثّر الإنسان وينفعل دون قَبوله للأثر، فقد يشعر بالخوف فيصفرّ لونه، أو الخجل فيحمرّ وجهه، وهو كارهٍ غير قابلٍ لهذه الآثار، فلا يُشترط أن يكون الأثر مقبولًا، وإنما الانفعال هو التأثر مطلقًا.

ثانياً: الانفعال في الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهانيّ: "المُنْفَعِلُ يقال لما لا يَقْصِدُ الفَاعِلُ إلى إيجاده وإن تولّد منه، كحمرة اللّون من خجل يعتريه من رؤية إنسان، والطّرب الحاصل عن الغناء، وتحرّك العاشق لرؤية معشوقه"[1].

فهنا يبين الأصفهانيّ أن الانفعال يتولّد من الإنسان دون قصده وقَبُوله.

أما الجرجانيّ فيعرّفه بقوله إنّه: "الهيئة الحاصلة للمتأثّر عن غيره بسبب التّأثير أو لا."[2]

هذه تعريفات أصحاب المعاجم وأرباب اللغة، أما المتخصصون بعلم النفس فهم أول من اعتنى بتحرير مفهوم الانفعال النفسيّ وذلك؛ لأنّه يُعدُّ محورًا من محاور علم النّفس، وعنصرًا من العناصر المؤثّرة على النّفس الإنسانيّة، فحدّوا له حدودًا، ووضعوا لها ضوابطَ، وقعّدوا له قواعدَ، وعرّفوه عدة تعريفات، أهمّها:

"الانفعالات وهي إرجاع واستجابات قوية لها تأثيرُ الدوافعِ على السلوك، فالانفعالات عبارة عن استجابات فسيولوجيّة[3] وسيكولوجيّة[4] تؤثر في الادراك، وفي التعلم، وفي الأداء."[5]

---

[1] الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن. 1مج. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط:1. بيروت: دار القلم. 1412هـ. ص:641.

[2] الجرجاني، علي بن محمد (ت: 816هـ): التعريفات. 1مج. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ. ص39.

[3] فسيولوجي: أي جسدي هي التغيرات الجسدية، مثلاً : التغيرات الجسدية التي تُصاحب مرحلة البلوغ. انظر: سيكولوجيا الدافعية والانفعال. ص88.

[4] معنى سيكولوجي: أي نفسي وهي التغيرات النفسية، مثلاً : تغيرات المزاج. انظر: سيكولوجيا الدافعية والانفعال. ص134.

[5] موارى، إدوارد: الدافعية والانفعال. ط1. القاهرة: دار الشروق. 1988م. ص:101.

وهناك من فرّق بين مفهوم الانفعال بالنسبة للشخص ذاته، وبين مفهوم الانفعال بالنسبة للمشاهد الخارجي فقال إنّ الانفعال هو: "حالة شعوريّة وسلوك حركي خاص، بالنسبة للشخص نفسه هي حالة مشاعر ثائرة، بالنسبة للمشاهد الخارجيّ، هي اضطراب في النّشاط العضليّ والغديّ"[1].

ومنهم من عرّف الانفعالات بأنها: "تغيّر في الحالة الوجدانيّة، واستجابة منظّمة لحدثٍ ما، لها مظهر فيسيولوجيّ ومعرفيّ وسلوكيّ."[2]

وبعد إيراد هذه التّعريفات المختلفة لمفهوم الانفعال، يتضح للباحث أنّ علماء النّفس متفقون على جزأين محوريين من التّعريف وهما:

1. أن الانفعال هو: حالة شعوريّة داخليّة.
2. أن الانفعال عبارةٌ عن استجابات فسيولوجيّة.

المطلب الثاني: أسباب حدوث الانفعال

هنالك عدة أسباب تؤدي إلى حدوث الانفعال، فليست التغيّرات الفسيولوجيّة وحدها التي تُنشئ الانفعال، وإنما هناك عوامل أخرى قد تُحدِثُه، كالتّعبير عن حالة معيّنة فإن: "الانفعال لا يحدث فقط بسبب تغيّرات فسيولوجيّة بل لأسباب أخرى، فمثلًا: إنّ الخوف دليل على وجود خطر ما يهدد الشّخص، والحزن يعبّر عن فقدان شيء، وكذا المجال في الانفعالات الأخرى فهي مصمّمة للتعبير عن حالات محدّدة"[3].

وهناك أسباب كثيرة لحدوث الانفعال ترافق الإنسان من ولادته إلى وفاته، فشعور الطفل بالدفء والشبع يسببان الفرح والسعادة للطفل، والشعور بالبرد والجوع يسببان الحزن والغضب للطفل، لذلك فإنّ "أسباب تلك المشاعر صريحة وتختص في معظم الحالات بالرّاحة الجسميّة للطفل، أو عدم راحة للجسم، فإذا كان الطّفل دافئًا وأُطعم جيدًا، فإنّه سوف يكون سعيدًا، وإذا كان باردًا وجائعًا، أو به ألم ما، فإنّه سوف يكون

[1] المليجي، حلمي: علم النفس المعاصر. ط8. بيروت: دار النهضة العربية. 2000م. ص:169.
[2] وردة، بلحسيني وسعاد، بوسعيد: استراتيجيات تنظيم الانفعالات. الجزائر: رابطة الأدب الحديث. 2017. ص:183.
[3] وردة، بلحسيني وسعاد، بوسعيد: استراتيجيات تنظيم الانفعالات. ط2017. ص:187.

تعيسًا...وهكذا كلما اطرد نمونا، تصير حياتنا الانفعاليّة أكثر تعقيدًا، وتزداد أنواع المواقف التي تنشأ عنها الانفعالات، وتصبح أكثر غموضًا. فلا تَعُودُ المشاعر السارة تعتمد على الصّحّة الجسميّة وحدها، بل قد تنبعث من استحسان الزملاء، أو نتيجةَ نجاح في تنفيذ خطة وضعت لتحقيق هدف لفترة ما، أو نتيجة تحمّل عبء نشاط معقّد لدينا القدرة على النّجاح فيه بصفة خاصّة."[1]

والذي يخلُص إليه الباحث بناءً على ما سبق أن أسباب حدوث الانفعال هي كالآتي:

1. الدافع:

وهو الذي يثير الإنسان فيحصل الانفعال، فمثلًا إذا وُجد خطر يهدد حياة الإنسان، فهذا دافع سيثير انفعال الخوف لديه، وإن فقد شخصًا عزيزًا عليه فإنّه دافعٌ سيثير انفعال الحزن.

2. التغيّرات الفسيولوجيّة:

فإذا اضطربت نبضات القلب، وتأثّرت العوامل العصبيّة، وتغيّرت الإفرازات الهرمونيّة، فكل تغيّر في هذه المكونات البيولوجيّة، سيؤثّر في نهاية المطاف على الحالة الانفعاليّة.

3. تحصيل الدوافع وتحقيق الآمال:

فإن إشباع بعض دوافع الانسان بغتةً، أو تحقيق بعض الآمال فجأة، مؤثّر على الحالة الانفعاليّة، فمثلًا: إذا فقد الشّخص شيئًا نفيسًا، ثمّ بعد بحث وتنقيب دَقيقَيْن وعميقَيْن، وجد ضالته، فإنّه سيشعر بالفرح والرضا، وإنْ حقق إنجازًا بعد مسيرة عمل كادحٍ، وتفكير عميقٍ مستغرقٍ، فإنّ هذا الإنجاز سيشعره بالفخر والسعادة لا محالة.[2]

[1] المليجي، حلمي: علم النفس المعاصر. 2000م. ص:166.

[2] وردة، بلحسيني وسعاد، بوسعيد: استراتيجيات تنظيم الانفعالات. ط 2017. ص:188.

المبحث الثاني: النّفس في المنظور الإسلاميّ

المطلب الأوّل: معنى النّفس في اللّغة والاصطلاح

أولا: معنى النّفس في اللّغة:

ويُطلَق لفظ النّفس على عدة معانٍ أهمها:

1. **الروح:** "خَرَجَتْ نَفْسُه، أَي رُوحُه"[1].
2. **ما يكون به التمييز:** "النَّفْس الرُّوحُ والنَّفْسُ مَا يَكُونُ بِهِ التَّمْيِيزُ فَشاهِدُهُما قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[سورة الزمر:42]، فالنَّفْس الأُولى هِيَ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ الْحَيَاةِ، والنَّفْس الثَّانِيَةُ الَّتِي تَزُولُ بِزَوَالِ الْعَقْلِ"[2].
3. **جُمْلَةُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ:** "تقُولُ: قتَل فلانٌ نَفْسَه وأَهلك نَفْسَه أَي أَوْقَعَ الإِهْلاك بِذَاتِهِ كلِّها وحقيقتِه"[3].

ثانيًا: النّفس في الاصطلاح:

إنّ النّفس الإنسانيّة هي سرّ الإنسان وحقيقته، ومعرفة هذا السّر شكّل معضلة كبيرة، حيّرت الفلاسفةَ العلماء وجمهور المتكلمين الأذكياء، وَعُدَّ موضوع النّفس محورًا أساسيًّا في عِلمَي الفلّسفة والتّصوّف، لذلك لن يخوض الباحث في هذه الأقوال، وإنما سيورد ما يراه أقرب إلى الصواب حسب الأدلة القرآنيّة.

يذكر الإمام **الغزاليّ** للنّفس معنيَيْن وهما: "أحدهما أنّه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، على ما سيأتي شرحه، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف؛ لأنّهم يريدون بالنّفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون لا بدّ من مجاهدة النّفس وكسرها، والثّاني: هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، ولكنّها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر

---

[1] الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. مج1. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية. ص559

[2] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): لسان العرب. مج 15. ط:3. بيروت: دار صادر. (1414هـ). ج6 ص234.

[3] المرجع السابق: ج6 ص233.

وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سمّيت النّفس المطمئنة، قال الله تعالى في مثلها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾[سورة الفجر:27-28]"[1].

إذن النّفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم؛ لأنها تعني قوة الغضب والشهوة، أمّا بالمعنى الثّاني فهي محمودة؛ لأنّها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى.

قال **الجرجانيّ**: "النّفس: هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوّة الحياة والحس والحركة الإراديّة... فهو جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه. وأمّا في وقت النّوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه."[2]

أما الإمّام **ابن القيّم** فله بحث عميق ودقيق في معنى النّفس وقد بَسَطه في كتابه الروح فيقول: "إنّ النّفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانيّ علوي خفيف حيّ متحرك وينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون والنّار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء"[3].

فَيُرجِّح الإمام ابن القيم هذا القول بعد سرد العديد من الأقوال والتّعريفات للنّفس.

قال القرطبيّ: "والرّوح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم، والنّفس والرّوح اسمان لمسمّى واحد"[4].

---

[1] الغزالي، محمد أبو حامد (ت: 505هـ): إحياء علوم الدين. 4مج. بيروت: دار المعرفة. ج3 ص4.

[2] الجرجاني، علي بن محمد (ت: 816هـ): التعريفات. 1مج. ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ. ص243.

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ): الروح. 1مج. تحقيق: كمال الجمل. ص224.

[4] القرطبي، محمد بن أحمد (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن.20 مج. ت: البردوني. أحمد وأطفيش. إبراهيم. ط:2. مصر. دار الكتب المصرية. 1384هـ. ج10 ص24.

أمّا **ابن حزم** فيقول: "ذهب سَائِر أهل الْإِسْلَام والملل المقرّة بالميعاد إِلَى أَنّ النَّفس جسم طَوِيل عريض عميق ذَات مَكَان عَاقِلَة مُمَيزَة مصرّفة للجسد قَالَ أَبُو مُحَمَّد وَبِهَذَا نقُول وَالنَّفس وَالروح اسمان مُتَرَادِفَانِ لمسمّى وَاحِد ومعناهما وَاحِد"[1].

أما **السهيلي** فهو يخالف من يقول بأن النفس والروح اسمان لمعنى واحد فيقول: ""وَلَوْ كَانَتْ النَّفْسُ وَالرّوحُ اسْمَيْنِ لِمَعْنَىً وَاحِدٍ كَاللّيْثِ وَالْأَسَدِ لَصَحّ وُقُوعُ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكَانَ صَاحِبِهِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴿٨﴾﴾[سورة المجادلة:8]. وَلَا يَحْسُنُ فِي الْكَلَامِ يَقُولُونَ فِي أَرْوَاحِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴿٥٦﴾﴾[الزمر:56]. وَلَمْ يَقُلْ أَنْ تَقُولَ رُوحٌ وَلَا يَقُولُهُ أَعْرَابِيّ، فَأَيْنَ إذًا كَوْنُ النّفْسِ وَالرّوحِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"[2].

ثم يبين حقيقة كل واحدة منهما فيقول: "فَإِذَا ثَبَتَ أَنّ الرّوحَ سَبَبُ الْحَيَاةِ عَادَةً أَجْرَاهَا اللهُ تَعَالَى، فَهُوَ كَالْمَاءِ الْجَارِي فِي عُرُوقِ الشّجَرَةِ صُعُدًا، حَتّى تَحْيَا بِهِ عَادَةً فَنُسَمّيهِ مَاءً بِاعْتِبَارِ أَوّلِيّتِهِ وَنُسَمّي أَيْضًا هَذَا رُوحًا بِاعْتِبَارِ أَوّلِيّتِهِ وَاعْتِبَارِ النّفْخَةِ الّتِي هِيَ رِيحٌ فَمَا دَامَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِ أُمّهِ حَيّا، فَهُوَ ذُو رُوحٍ فَإِذَا نَشَأَ وَاكْتَسَبَ ذَلِكَ الرّوحُ أَخْلَاقًا وَأَوْصَافًا لَمْ تَكُنْ فِيهِ وَأَقْبَلَ عَلَى مَصَالِحِ الْجِسْمِ كَلَفًا بِهِ وَعَشِقَ مَصَالِحَ الْجَسَدِ وَلَذّاتِهِ وَدَفَعَ الْمَضَارّ عَنْهُ سُمّيَ نَفْسًا، كَمَا يَكْتَسِبُ الْمَاءُ الصّاعِدُ فِي الشّجَرَةِ مِنْ الشّجَرَةِ أَوْصَافًا لَمْ تَكُنْ فِيهِ"[3].

إذن خلاصة ما توصل إليه السهيلي هو أنّ النفس مركبة من الروح وامتزاجها بالجسد، فالروح لا ترادف النفس على الاطلاق، بل هي أصل النفس ومادتها، وقد استحسن ابن كثير كلام السهيلي فقال: "فَحَاصِلُ مَا يَقُولُ أَنَّ الرُّوحَ أَصْلُ النَّفْسِ وَمَادَّتُهَا، وَالنَّفْسُ مُرَكَّبَةٌ مِنْهَا وَمِنَ اتِّصَالِهَا بِالْبَدَنِ، فَهِيَ هِيَ مَنْ وَجْهٍ لَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَهَذَا مَعْنًى حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[4].

---

[1] ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت: 456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل. 5مج. مكتبة الخانجي. ج5 ص47.

[2] السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. 7مج. ط: 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1412هـ. ج3 ص188.

[3] المصدر السابق، ج3 ص189.

[4] ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774 هـ): تفسير القرآن العظيم. 8 مج. تحقيق: سامي السلامة. ط:2. دار طيبة. 1420هـ. ج4 ص348.

وعرّفها المُلا علي القاري تعريفًا يوافق ما ذهب إليه السهيلي وابن كثير فقال إنها: "لَطِيفَةٌ فِي الْجَسَدِ تَوَلَّدَتْ مِنِ ازْدِوَاجِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ وَاتِّصَالِهِمَا مَعًا"[1].

بناءً على ما سبق فإن الباحث يُرجّح ما ذهب إليه السهيليّ وابن كثير ومن وافقهما وذلك لأنه؛ الأقرب لما تدل عليه الآيات القرآنية، فقد استخدم الباري عند النفخ لفظ "الروح" فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[سورة الحجر:29]. وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴿٩﴾﴾[سورة السجدة:9]. ولم يقل: ونفخت فيه من نفسي، أو ونفخ فيه من نفسه.

وعند القبض استخدم لفظ "النفس" فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴿٤٢﴾﴾[سورة الزمر:42]. وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴿٩٣﴾﴾[سورة الأنعام:93]. ولم يقل: الله يتوفى الأرواح، ولم يقل: أخرجوا أرواحكم، وهذا يدل على أن بينهما فرقًا في المعنى.

والخلاصة أن الروح هي التي يحصل بها حياة الجسد ولا يعلم كنهها إلا الله، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[سورة الإسراء:85]، أما إذا اتصلت الروح بالبدن صارت نفسًا.

[1] الملا القاري، علي بن حسن (ت: 1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. 9 مج. ط:1. بيروت: دار الفكر. 1422هـ. ج5 ص1901.

المطلب الثانيّ: أنواع النّفس التي وردت في القرآن الكريم

ذُكِرت كلمة النّفس في القرآن الكريم ثمانيًا وتسعين ومائتين مرّة[1] موزّعة على أكثر من أربعين سورةً، فقد اعتنى القرآن بالنّفس عناية فائقة، واستخدمها للدلالة على أمور مختلفة؛ فهي تدل على الذّات الإلهيّة والذات الإنسانية وأصل الإنسان وغيرها من المدلولات.

لذلك كان من الأهميّة بمكان أن يُولي الخطاب القرآنيّ كلمة "النّفس" تلك الأهميّة ويعتني بها هذه العنايّة، كونها تحدد مسألة مصيريّة للإنسان، فإن زكّاها وهذّبها وسيّرها وَفق هدي النّبي صلّى الله عليه وسلم، فسيُفلح ويَنجح، أمّا إذا أتْبَع نفسَه هواها، وألقى حَبْلَها على غاربها، فسيخسر خسرانًا مبينًا، وسيندم ندمًا عظيمًا، يوم لا ينفع البكاء ولا العتاب، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[الشمس:9-10].، والنّاظر في أنواع النّفس المذكورة في القرآن، يجدها محصورة في ثلاثة أنواع وهي كالآتي:

1. **النّفس المطمئنّة:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾[سورة الفجر:27-30].

"يعني بالمطمئنة: التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به في الدنيا من الكرامة في الآخرة، فصدّقت بذلك."[2]

إذن النفس المطمئنة هي التي رضيت بقضاء الله وأَنِست بذكره، فسلّمت له زمام أمرها، وتيقّنت بأنّ في طيّات المحنة تأتي المنحة، فتصبر عند البلاء، وتشكر عند الرخاء.

[1] حسين، إبراهيم، ومجموعة باحثين: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. 36 مج. مركز تفسير للدراسات القرآنية. ص3.

[2] الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن. 24مج. ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة. ط: 1. ص422.

2. **النّفس اللوّامة:**

هي التي: "تلوم صاحبها على الخير والشرّ وتندم على ما فات"[1].

وأجمع من تكلم في النّفس اللوّامة هو ابن القيّم حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[سورة القيامة:2]. "نبّه سبحانه بكونها لوّامة على شدّة حاجتها وفاقتها وضرورتها إلى من يعرّفها الخير والشر، ويدلّها عليه ويرشدها إليه ويلهمها إياه، فيجعلها مريدة للخير مُرشدَة له كارهة للشر مجانبة له؛ لِتَخلَصَ من اللوم ومن شر ما تلوم عليه"[2].

الخلاصة: أنها عندما تقترف المعاصي تندم وتعاتب نفسها ثم تتوب، وعندما تكسب الحسنات تتحسر على الإقلال وعدم الإكثار منها.

3. **النّفس الأمّارة بالسّوء:**

وقد ذكرها الله بالقرآن قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ ۝٥٣﴾[سورة يوسف:53]. فهي "الَّتِي يَغْلِبُ عَلَيْهَا اتِّبَاعُ هَوَاهَا بِفِعْلِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي"[3].

فالنّفس التي تدعو صاحبها لفعل المعاصي، وتُصِرُّ على ارتكاب الآثام إشباعًا لغرائزها وشهواتها، هي مأوى لكلّ سوء.

الخلاصة: بناء على ما سبق فقد خَلُص الباحث إلى أن أنواع النفس التي أشار إليها القرآن ما هي إلا حالات من الصراع النفسي بين الجانب الروحي والمادي، فإذا حصل توازن بين المتطلبات الروحية والاحتياجات

---

[1] المصدر السابق، ج 24 ص50.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ): التبيان في أقسام القرآن. دار المعرفة. ص:18.

[3] ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ): مجموع الفتاوى. 35مج. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد. ط3. السعودية: دار الوفاء. 1426هـ. ج9 ص294.

المادية تكون النّفس مطمئنّة، وإذا هيّمنت الشّهوات وطغت الرغبات البدنيّة على الروحيّة، فتصبح النّفس أمّارة بالسّوء، وما بين التوازن وتغلّب الجانب المادي تكون النّفس اللوّامة، وقد يلوم نفسه، بسبب زهده في فعل الطاعات والإقلال منها.

وقريبًا مما ذُكر، ما أشار إليه العقّاد حيث قال: "في الدّراسات النفسيّة الحديثة تقابل النّفس الأمّارة بالسّوء مفهوم الدوافع الغريزيّة، وتقابل النّفس اللوّامة مفهوم الضّمير، وتقابل النّفس المطمئنّة قوة الإيمان والثّقة"[1].

[1] العقاد، عباس محمود العقاد (ت:1964م): الإنسان في القرآن. ط4. القاهرة: نهضة مصر. (2005م). ص38.

المبحث الثالث: مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم

المطلب الأوّل: التّعريف بيوم القيامة

أولًا: القيامة لغة:

وهي من المصدر قام، ويوم القيامة "أَصله مصدر قام الخَلق من قُبورهم قِيامة"[1].

ثانيًا: القيامة اصطلاحًا:

القيامة هي: "يَوْمُ البَعْثِ يَقُومُ فِيهِ الخَلْقُ بَين يَدَيِ الحَيّ القَيُّومِ"[2]، وهي اليوم الذي "يبيد الحيُّ القيوم فيه الحياة والأحياء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[سورة الرحمن:26-27]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۝٨٨﴾[سورة القصص:88]، ثم يأتي وقت يُعيد الله العباد ويبعثهم، فيوقفهم بين يديه ويحاسبهم على ما قدموه من أعمال، وسيلاقي العباد في هذا اليوم شيئاً عظيماً من الأهوال، ولا ينجو من تلك الأهوال إلا من أعدَّ لذلك اليوم عدته من الإيمان والعمل الصالح، ويساق العباد في ختام ذلك اليوم إلى دار القرار: الجنة أو النار."[3]

وسميت بهذا الاسم لما يقوم فيها من الأحداث العظيمة والأهوال المهيبة، وفيها يقوم الناس بين يدي الخالق البارئ سبحانه وتعالى، وقد "ورد هذا الاسم في سبعين آية من آيات الكتاب، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝٨٧﴾[سورة النساء:87]"[4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب. ج: 12 ص:506.

[2] الزبيدي، محمد مرتضى (ت 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. 40 مج. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. (1385-1422هـ). ج33 ص320

[3] الأشقر، عمر بن سليمان (ت:1433هـ): القيامة الكبرى. ط 6. الأردن: دار النفائس. 1415هـ. ص17.

[4] المرجع السابق، ص20.

وفي هذا اليوم ستنتهي الحياة الدنيا، فتموت كل المخلوقات ويبقى الخالق، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[سورة الرحمن:26-27] ثم يُحي الله العباد فيخرجون من أجداثهم.

وقد سمّى الله هذا اليوم الذي تنتهي فيه الحياة، ويبدأ فيه الحساب والجزاء بأسماء كثيرة حرص العلماء على عدها وتفسيرها فقد "جَمَعَهَا الْغَزَالِيُّ ثُمَّ الْقُرْطُبِيُّ فَبَلَغَتْ نَحْوَ الثَّمَانِينَ اسْمًا"[1].

وسيكتفي الباحث بذكر أشهر هذه الأسماء دون شرح وتفصيل وذلك لشهرتها، وهي كالآتي:

يوم القيامة، اليوم الآخر، الساعة، يوم البعث، يوم الخروج، القارعة، يوم الفصل، يوم الدِّين، الصاخة، الطامة الكبرى، يوم الحسرة، الغاشية، يوم الخلود، يوم الحساب، الواقعة، يوم الوعيد، يوم الآزفة، يوم الجمع، الحاقة، يوم التلاق.

وكلُّ ما كثُرت أسماؤه وتعددت صفاته عظُم شأنه، فكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمّى، إذن كثرة أسماء يوم القيامة برهانٌ على عِظَمِها وشدة أهوالها قال القرطبي: "كل ما عَظُم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا جميع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة."[2]

الخلاصة: أن يوم القيامة يوم شديد ستتوقف فيه الحياة الدنيا، وتنتقل إلى الحياة الأُخرى، وقد سمّى الله يوم القيامة بأسماء كثيرة، وصلت إلى ثمانين اسمًا، وهذا الإكثار في ذكر الأسماء وتعداد الصفات إنما يدل على عظمة هذا اليوم، فكثرة الأسماء تدل على عظمة المُسمَّى.

---

[1] ابن حجر، أحمد بن علي(ت852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ. ج11 ص396.

[2] القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671هـ): التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ت: الصادق بن محمد. ط1. دار المنهاج. 1425هـ. ص544.

ثالثًا: أهوال يوم القيامة:

المقصود بأهوال يوم القيامة المواقف التي يحضرها الخلق جميعًا أولهم وآخرهم، فيجتمعون يوم القيامة، ويشاهدون أهوال هذا اليوم الشديدة والمريبة، ويُجزَون على ما كسبوا في الحياة الدنيا، ويعرفون مصيرهم إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار، ومن أهم هذه الأهوال الآتي:

1. **النفخ في الصور:**

وهي "نفخة وصيحة يُصعَقُ بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة"[1] قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾[سورة الزمر:68].

والملك الموكل بالنفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، قال ابن حجر العسقلاني: "اشْتُهِرَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَقَلَ فِيهِ الْحَلِيمِيُّ الْإِجْمَاعَ"[2].

فينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفختين؛ في الأولى يُصعَق الخلقُ، وفي الثانية يُبعثون.

2. **البعث والنشور:**

والمقصود به لغة: "الإِحْياء مِنَ اللَّهِ للمَوْتى؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ: أَي أَحييناكم. وبَعَثَ المَوْتى: نَشَرَهم لِيَوْمِ البَعْثِ."[3]

وإن "المراد بالبعث المعاد الجسماني، وإحياء العباد في يومي المعاد، والنشور مرادف للبعث في المعنى، يقال: نشر الميت نشوراً إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله أحياه. فإذا شاء الحق تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرافيل فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين... وقد حدثنا

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين. ج4 ص512.

[2] ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ. ج11 ص368.

[3] ابن منظور: لسان العرب. ج2 ص117.

الحق –تبارك وتعالى– عن مشهد البعث العجيب الغريب فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[سورة يس:51–53]"[1].

3. **الحشر:**

"والحَشْرُ: جَمْعُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."[2] قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾[سورة الكهف:47].

وفي هذا اليوم يُحشَر الخلق جميعًا؛ من الإنس والجن والملائكة والبهائم، فيأتون حفاة عراة غرلًا –غير مختونين– على أرض بيضاء لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا لا تشبه أرض الدنيا إلا بالاسم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾[سورة إبراهيم:48].

4. **الشفاعة:**

بعد اشتداد الكرب على الناس والشمس قريبة من العباد مقدار ميل، وقد طال الانتظار؛ واليوم عند الله كخمسين ألف سنة مما نَعدُّ، والناس حفاة عراة لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فيطلبون البحث عمّن يشفع لهم عند الله كي يبدأ الحساب، فيتوجهون إلى آدم ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى عليهم السلام، فيأبون طلب الشفاعة ويعتذرون عنها جميعًا، حتى يتوجهوا إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيتقدم سيد الخلق فيشفع للناس، فيقبل الله شفاعته ويبدأ الحساب، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده إياه الله عز وجل.[3]

---

[1] الأشقر: القيامة الكبرى. ص43.

[2] ابن منظور: لسان العرب. ج4 ص190.

[3] يُنظَر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ط1. تحقيق جماعة من العلماء. مصر: الطبعة السلطانية، 1422هـ. ج9 ص146. رقم 7510

فلكل نبي دعوة مستجابة لا ترد، وكل الأنبياء قد تعجلوها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم فقد خبّأها لنا يوم القيامة، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ. فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ. وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا"[1].

5. **الحساب والجزاء:**

إن المقصد من جمع الخلق هو الحساب والجزاء قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٣١﴾[سورة النجم:31].

"يراد بالحساب والجزاء أن يُوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا... وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كانوا طالحين."[2] فمن الناس من يحاسب حسابًا يسيرًا، ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا.

6. **الميزان:**

بعد أن يرى العباد أعمالهم من خير وشر، يُنصَب الميزان قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾[سورة الأنبياء:47]. فيقول القرطبي: "وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها."[3]

---

[1] مسلم (261هـ): صحيح مسلم. ت: عبد الباقي، محمد فؤاد. بيروت: دار إحياء التراث. (1374هـ-1955م). كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته. ج1 ص189. رقم الحديث: 199.

[2] الأشقر: القيامة الكبرى. ص193.

[3] القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ص715.

فالميزان دقيق لا يزيد ولا يُنقص وهو حقيقي ليس تعبيرًا مجازيًا، فتوزن أعمال العباد فإن رجحت كفة الحسنات دخل الجنة، وإن رجحت كفة السيئات قُذف في النار.

7. الحوض:

لقد أنعم الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ووهبه حوضًا فسيح الأرجاء، طوله مسيرة شهر، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وعدد أكوابه عدد نجوم السماء، وريحه أطيب من المسك، من شرب من شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، يصله الماء من نهر الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في الجنة، يرده المؤمنون، ويُذاد عنه الكافرون المحرّفون.

"قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا."[1]

8. الصراط:

"فالناس من بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فَمَنِ اسْتَقَامَ فِي هَذَا الْعَالَمِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ خَفَّ عَلَى صِرَاطِ الْآخِرَةِ وَنَجَا وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَثْقَلَ ظَهْرَهُ بِالْأَوْزَارِ وَعَصَى تَعَثَّرَ فِي أَوَّلِ قَدَمٍ مِنَ الصراط وتردى"[2].

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[سورة مريم:71]. قال ابن جرير الطبري: "يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهم وها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها."[3]

---

[1] البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقائق، باب في الحوض وقول الله تعالى إنا أعطيناك الكوثر. ج8 ص119. رقم: 6579.

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين. ج4 ص524.

[3] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. ج18 ص234.

المطلب الثاني: المشهد الأخروي في الخطاب القرآنيّ

إن القارئ المتدبر للقرآن يلاحظُ اهتمام الخالق سبحانه وتعالى بذكر اليوم الآخر وتصوير مراحله ونعيمه وأهواله، فأسهب في التفصيل حتى نقل القارئ إلى ذلك العالم، وجعله يتفاعل معه، فيفرح ويشتاق لمشاهد النعيم والرضوان، ويحزن ويرهب من مشاهد الغضب والخسران.

فعند ذِكْرِ الجنة ونعيمِها يفرح القارئ ويطمئن قلبه وتسكن نفسه، وإذا ذُكِرَت النار ارتعدت فرائصه وهابت نفسه، وإنما يصوّر القرآنُ الكريمُ اليومَ الآخرَ بهذا التصوير البليغ ويُدخل القارئ في المشهد، بل يجعله يعيش الحدث فيتأثر ويتفاعل، لكي تبقى مشاهد القيامة حية في كيانه وعقله ووجدانه، فإذا فعل الخير وبذل الندى[1] وتحمّل الأذى، فإن ذِكره لنعيم الجنة ورضوان الله على أصحابها سيبعث فيه الأمل ويعينه على الصبر ويعزز فيه الاستزادة والمسابقة في الخيرات.

وأما من سوّلت له نفسه التقاعس عن العبادات والتقهقر في الأخلاق، والجور على العباد، فإن ذكر أهوالَ القيامة وحميمَ النار وزقومَها سيردعه ويزجره.

فلكي تبقى مشاهد القيامة حاضرة في ذهن المسلم لا تفارقه في حل ولا ترحال، كان الأبلغ والأجود أن تعرض بهذا الأسلوب التصويري المتناسق المعجز.

قال الدكتور صلاح الخالدي "القرآن الكريم يهدف من عرض مشاهد القيامة فيه إلى أن تكون حاضرة في ذهن وحس وقلب ووجدان وشعور المؤمن[2]، وهو يتحرك على وجه الأرض، يرجو نعيمها ويخشى عذابها، وهي لن تكون حاضرة حية، مؤثرة موحية، تؤدي الغاية من إيرادها، إلا إذا عرضت بأسلوب معين، وطريقة خاصة، تمنحها هذا التأثير"[3].

---

[1] الندى: الخير.

[2] والصحيح أن يقول: في ذهن المؤمن وحسه وقلبه ووجدانه وشعوره، لأن اللغويين يخطئون من يعطف على المضاف قبل استكمال الإضافة.

[3] الخالدي، صلاح عبد الفتاح: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. ط1. عمان: دار الفرقان. ص215.

أولًا: مفهوم المشهد

وهو "اسم مكان أو مصدر ميميّ من شهد الثلاثي، وزنه مَفعَل بفتح الميم والعين، أو هو ما يشاهد: ما يقع تحت النظر من مشهد رهيب"[1] فقد قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾[سورة مريم:37].

والمشهد المقصود في هذه الآية هو "مشهد يوم القيامة، الذي يشهده الأولون والآخرون، أهل السماوات وأهل الأرض، الخالق والمخلوق، الممتلئ بالزلازل والأهوال، المشتمل على الجزاء بالأعمال، فحينئذ يتبين ما كانوا يُخفون ويُبدون، وما كانوا يكتمون."[2]

ولقد "عني القرآن بمشاهد القيامة: البعث والحساب والنعيم والعذاب؛ فلم يَعُد العالم الآخر الذي وُعِدَه الناس بعد هذا العالم الحاضر، موصوفًا فحسب، بل عاد مصوّرًا محسوسًا، وحيًّا متحركًا، وبارزًا شاخصًا؛ وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة: رأوا مشاهده، وتأثروا بها؛ وخفقت قلوبهم تارة، واقشعرت جلودهم تارة، وسرى في نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ، ورفَّ إليهم من الجنة نسيم، ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود"[3].

[1] مختار، أحمد: معجم اللغة العربية المعاصرة. 4مج. ط: 1. عالم الكتب. ج2 ص242.

[2] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا. ط:1. مؤسسة الرسالة. 1420هـ. ص493.

[3] سيد قطب (ت: 1966م): مشاهد القيامة في القرآن الكريم. القاهرة: دار الشروق. ص42.

ثانيًا: أهم سمات مشاهد القيامة في القرآن الكريم[1]:

أ. تُقرّب صورة المشهد فكأنك تراه بعينك وتحسه بوجدانك:

وقد حقق القرآن هذه السمة بوسائل مختلفة منها:

1. **بداية القصة تكون في الدنيا وتتمتها في الآخرة:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾[سورة هود:96-99].

في هذه الآيات ينتقل الخطاب القرآنيّ من الحديث عن بني إسرائيل وكيف اتبعوا فرعون في الدنيا، ثمّ ينتقل انتقالة سريعة خاطفة إلى الحديث عن مصير فرعون وأتباعه في الآخرة، وأنّهم كما اتّبعوه في الدنيا واتخذوه قدوةً وإمامًا، فسيتّبعونه ويقتدون به في الآخرة إلى أن يَرِدَ بهم النار فيشربون من حميمها وزقومها، فبالرغم من الله قد أرسل الله موسى عليه السلام بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة إلى فرعون وقومه، إلا أنّهم اتّبعوا منهج فرعون بالكفر والضلال، لذلك "كَمَا أَنَّهُمُ اتَّبَعُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَ مُقَدمهم وَرَئِيسَهُمْ، كَذَلِكَ هُوَ يُقدمهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، فَأَوْرَدَهُمْ إِيَّاهَا، وَشَرِبُوا مِنْ حِيَاضِ رَدَاها"[2].

2. **التنويع بين الخبر والإنشاء، أو الوصف والحوار:**

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ

[1] هذه السمات مستفادة من كتاب التصوير الفني لسيد قطب.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774 هـ): تفسير القرآن العظيم، ت: سامي السلامة، دار طيبة، ط 2، ج 4، ص348.

مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِ﴿٢٧﴾﴾[ق:19-27].

في هذا الآيات يبدأ القرآن بوصف المشهد بأسلوب الخبري، ثم ينتقل من أسلوب الوصف إلى أسلوب الحوار عند قوله تعالى: وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ، وينتقل من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي عند قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

ب. التناسق:

كما أن مشاهد القيامة في القرآن الكريم تتسم بالتناسق، وهو "حسن اختيار وتوظيف مختلف الجزئيات (الأصوات المفردة، تأليف العبارات، الأساليب الموسيقية، الانتقال بين المواضيع، مراعاة الحال النفسية...) ونظمها في نسق واحد خادم للمعنى ومحققٍ لأغراض دلالية معينة لا تتحقق بإسقاط أو استبدال جزء من هذه الأجزاء"[1].

ومن أهم أنواع التناسق التي تتجلى في مشاهد القيامة هي الآتي:

1. **التناسق الفني بين جرس الكلمة ودلالتها:**

يبيّن سيد قطب أن في القرآن الكريم صورًا شاخصة متمثلة، ترسمها لفظة مستقلة بمفردها، فيستطيع اللفظ الواحد رسم صورة كاملة إما بالجرس الذي يوصله للأذن أو بظله الذي يشاهده في خياله أو بالجرس والظل معًا، ويضرب أمثلة كثيرة في هذا السياق أكتفي بذكر مثال واحد:

"من الأوصاف التي اشتقها القرآن ليوم القيامة: (الصّاخّة) و (الطامّة)، والصاخة لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها وعنف جرسها، وشقه للهواء شقًا، حتى يصل إلى الأذن صاخًا ملحًا. والطّامّة لفظة ذات دويّ وطنين، تُخيّل إليك بجرسها المدوّي أنها تطم وتعم، كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه."[2]

[1] بورويسة، زينة: التناسق الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب، مجلة المعيار، 2018م، ص61.

[2] سيّد قطب: التصوير الفني في القرآن، بيروت: دار الشروق، ص93.

2. **التناسق بين الصور التي ترسمها التعبيرات بالمقابلات:**

يُكثر التعبير القرآني من استخدام أسلوب التقابل، فيجمع بين صورتين متقابلتين بمشهد واحد، "والتقابل طريقة من طرق التصوير وطريقة من طرق التلحين"[1] ومن أمثلة ذلك المقابلة بين صور النعيم وصور العذاب في الآخرة، مثال آيات من سورة الفجر:

جدول 1

مثال على المقابلة بين صور النعيم وصور العذاب في الآخرة من آيات سورة الفجر

صورة الهول والعذاب	صورة الأمن والنعيم
﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾.	﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

"في وسط هذا الروع الذي يبثه ذلك العرض العسكري –الذي تشترك فيه جهنم– بموسيقاه العسكرية المنتظمة الدقات، المنبعثة من البناء اللفظي الشديد الأسر، وبين العذاب الفذ والوثاق النموذجي... يُقال لمن آمن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[سورة الفجر:27–30] هكذا في عطف ولطف: (يا أيتها) وفي روحانية وتكريم: (يا أيتها النفس)، (المطمئنة) في وسط هذا الروع، (ارجعي إلى ربك) بما بينك وبينه من صلة وإضافة.(راضية مرضية) بهذا الانسجام الذي يغمر الجو كله بالرضى والتعاطف. (فادخلي في عبادي) ممتزجة بهم متوادة معهم. (وادخلي جنتي) المضافة لي. والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رخية، في مقابل تلك الموسيقى القوية العسكرية."[2]

[1] المصدر السابق، ص96.

[2] سيّد قطب: التصوير الفني في القرآن. بيروت: دار الشروق. ص98.

المطلب الثالث: مَقصِد الخّطاب القرآنيّ من الاسترسال في ذكر مشاهد يوم القيامة في جزء عمّ.

يتميّز هذا الجزء عن غيره من الأجزاء، بأن سوره قصار ومعظمها مكيّة، "باستثناء سورتين وهما (البيّنة والنّصر)"[1] ومن خصائص القرآن المكيّ؛ أنّه يحرص على ترسيخ العقائد ويعتني بأركان الإسلام وأصوله، ويركّز على أركان الإيمان، فيدعو إلى التوحيد وإثبات اليوم الآخر، ويقود الخلق إلى الحق "قيادة راشدة إلى الاعتراف بتوحيد الله في ألوهيته وربوبيته، والإيمان بالبعث ومسؤوليته، والجزاء العادل ودقته، ثم التسليم بالوحي وبكل ما جاء به الوحي من هدى الله في الإلهيات والنبوّات والسمعيّات في العقائد على سواء"[2] ومما يميّز هذا الجزء أن سُوَرَهُ تحمل طابعًا خاصًا يُمثّل وحدةً في الموضوع والاتجاه والإيقاع، وقد بيّن ذلك سيد قطب فقال: أن ما يميّز سُوَرَهُ "هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدةً –على وجه التقريب– في موضوعها واتجاهها، وإيقاعها، وصورها وظلالها، وأسلوبها العام"[3].

الاسترسال في ذكر مشاهد القيامة يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

1. **الدعوة إلى الإيمان:**

معظم سور هذا الجزء مكيّة، ومن خصائص القرآن المكيّ هي "الدّعوة إلى التّوحيد، وإثبات الرّسالة، وإثبات اليوم الآخر، والوعد والوعيد"[4] إذن هو يعتني بتقوية العقائد وترسيخ الإيمان، واليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، فالإيمان به يعني الإيمان بركن من أركان العقيدة التي يسعى القرآن المكي إلى تقويتها وغرسها في أفئدة الناس كافة، فكان الاسترسال بذكر مشاهد القيامة ذريعةً لتنبيه الغافلين ودعوة الكافرين إلى الإيمان برب العالمين.

2. **إنذار المعرضين وإرشاد الضّالّين:**

---

[1] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3800.

[2] الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت: 1376 هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن. ت: هاني الحاج. مصر: التوفيقية. ج1 ص202.

[3] سيّد قطب: في ظلال القرآن. 6مج. ط17. بيروت: دار الشروق. (1412هـ–1992م). ج 6 ص3800.

[4] الجديع، عبد الله: المقدمات الأساسية في علوم القرآن. ط3. مركز البحوث الإسلامية ليدز. (1428هـ–2007م). ص58.

جاءت آيات هذا الجزء لتوقظ النائمين، وتنفض الغبار المتراكم عن ألباب المخمورين، وتزيل الران عن قلوب الغارقين المنغمسين في شهوات الدنيا، المتعلقين بملذاتها، فجاءت لتأخذ بتلابيبهم وتقول لهم: إن هناك أهوالًا شديدةً وبعثًا قريبًا وحسابًا دقيقًا وجزاءً عسيرًا وعذابًا مهينًا، للكافرين المتكبرين، وإن هناك حسابًا يسيرًا وثوابًا جزيلًا ونعيمًا مقيمًا وفوزًا عظيمًا، للتائبين الموحدين المؤمنين.

فقد جاء التعبير القرآني بأبرع لوحة وأروع نظم وأعذب إيقاع، يتناسق تناسقًا تامًا مع فئة المخاطَبِين وهم الغافلون المعرضون، فكان الأداء التعبيري لهذا الجزء متناسقًا "في خطاب الغافلين النائمين السادرين، لإيقاظهم واجتذاب حسهم وحواسهم بشتى الألوان وشتى الإيقاعات وشتى المؤثرات، يتجلى هذا كله بصورة واضحة في مثل تعبيره اللطيف... في وصف الجنة: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ... ووصف النار: (وأما من خَفّت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية)"[1].

فكانت آيات هذا الجزء على قصرها تمثل طرقاتٍ متواليةً وصيحات مدويةً، تنذر العابثين اللاهين وتدعوهم إلى التوبة والصحوة والتفكر والتدبر.

3. ردع الظالمين وإيناس المؤمنين:

ذكر الباحث سابقًا أن معظم سور هذا الجزء مكيّة باستثناء سورتين وهما (البيّنة والنّصر)، وفي العهد المكيّ لم يكن للمسلمين شوكة وقوة، بل كانوا مستضعفين في الأرض حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم لحكمة أرادها، يمرّ على الصحابة وهم يُعذَّبون ويُنكَّل بهم فلا يسعه إلا أن يقول لهم: " صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ[2].

فكان الجو العام في مكة أن الكافرين يستضعفون المؤمنين، ويبطشون بهم، ويسلبون أموالهم، ويسومونهم سوء العذاب.

---

[1] سيّد قطب : في ظلال القرآن. ج 6 ص3802.

[2] ابن إسحاق، محمد (ت: 151هـ): السير والمغازي، ط1، بيروت: دار الفكر، (1398-19878م)، ص192 .

والصحابة تحت وطأة العذاب والتنكيل صابرون محتسبون يترقبون ما سينزل من القرآن، فكانت الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليوم الآخر تنزل بردًا وسلامًا على المؤمنين، فتشفي صدورهم وتكفكف دموعهم وتسكّن قلوبهم، فمثلًا عندما يسمع المؤمن قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴿٣٦﴾﴾[النبأ:31-36]. فلا شك أن هذه الآيات تعزّي مصابهم، وتعزز إيمانهم، وتبشرهم بالنعيم الذي أعده الله لهم، وتذكرهم بالهدف الذي يعيشون من أجله وهو رضوان الله والفوز بجنته.

وبالمقابل فإن الكافرين الظالمين عند سماعهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا﴿٢٦﴾﴾[سورة النبأ:21-26]. فإن مثل هذه الآيات تردعهم عن البطش بالمؤمنين، وتُرهبهم من عذاب الله وسخطه عليهم إن أصروا على هذه الحال من الظلم والكفر والصد عن سبيل الله، وتدعوهم إلى التوبة والإياب إلى الخالق الرحمن لينجو من الجحيم والعذاب ويفوزوا بدار المقامة بحسن ثواب. وهي أيضًا تشفي غليل المؤمنين؛ لأنهم أُخبروا أنه سيأتي يومٌ يُقتَص فيه من الظالم فيدعو ثبورًا ويصلى سعيرًا.

والحاصل: أنّ سُوَرَ هذا الجزء عبارة عن رسائل إنذارية وتهديديّة، ذات عبارات جزلة وقوية، وإيقاعات تقرع الآذان وتزلزل القلوب، فهددت الظالم الجاحد، وأنذرته بيوم سيصيح فيه الكافر قائلًا يا ليتني كنت ترابًا من الحسرة والندم، ويفرّ فيه المرء من أُمّه وأخيه وصاحبته وبنيه خوفًا من هول هذا اليوم وشدته، كما أنّ الخوف والرجاء محركان أساسيان للإنسان نحو الخير والشرّ، والهدف من عرض مشاهد القيامة هو إثارة هذين الشعورَيْن المحركَيْن نحو الخير والزاجرَيْن عن الشرّ، فذِكْرُ القيامة هو الوقود المحرّك إلى الخير وهو الكابح المانع عن الشرّ.

الفصل الأول

الانفعالات النفسيّة لأصحاب اليمين

المبحث الأول: انفعال الفرح

وردت مادة الفرح ومشتقاتها اثنتين وعشرين مرة في القرآن الكريم[1]، وتنوعت سياقات الفرح في القرآن الكريم، فتارة يأتي في سياق المدح كقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:58]، وتارة يأتي في سياق الذَّم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[القصص:76].

ولكي نميّز بين هذين السياقين لا بدّ من معرفة مفهوم الفرح ومعناه لغة واصطلاحًا، وهو كالآتي:

المطلب الأول: مفهوم الفرح في اللغة والاصطلاح

أولًا: الفرح لغة

الأصل بالفرح أنّه نقيض الحزن، بمعنى السرور وانشراح الصدر.

قال ابن فارس: "الْفَرَحُ، يُقَالُ فَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا، فَهُوَ فَرِحٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾[سورة غافر:75]. وَالْمِفْرَاحُ: نَقِيضُ الْمِحْزَانِ"[2].

وفي هذه الآية جاء الفرح مذمومًا؛ لأنه كان بغير الحق، فكانوا يفرحون بالشرك وعبادة الأصنام، قال الفخر الرازيّ: "ذَلِكُمُ الإضْلالُ بِسَبَبِ ما كانَ لَكم مِنَ الفَرَحِ والمَرَحِ بِغَيْرِ الحَقِّ، وهو الشِّرْكُ وعِبادَةُ الأصْنامِ"[3].

[1] يُنظَر عبد الباقي، محمد فؤاد (ت1968م): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط4. بيروت: دار الفكر. (1418هـ-1997م). ص514.

[2] ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت: 395هـ): مقاييس اللغة، تحقيق: هارون، عبد السلام. دار الفكر. (1399هـ-1979م). ج4 ص499-500.

[3] الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت 606 هـ): مفاتيح الغيب. 32مج. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ. ج27 ص533.

ويبيّن ابن عطيّة الضابط في الفرح المذموم والمحمود فيقول: "الفرح إذا ورد مقيدًا في خير فليس بمذموم وإذا ورد مقيدًا في شر أو مطلقا لحقه ذم إذ ليس من أفعال الآخرة"[1].

والحاصل أنّ الفرح متعلق بالمُسبِبِ له وهو نوعان:

1. فرح محمود: وهو الذي يحمل صاحبَه على شُكر نعمة الله وحمده عليها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[سورة يونس:58] فعندما يُقيّد الفرح بفضل الله ورحمته يكون محمودًا.
2. فرح مذموم: وهو الذي ورد مطلقًا أو قُيّدَ بشرٍ، فهو يؤدّي إلى الكِبْر والبطر والاختيال والبغي وارتكاب المعاصي عامّة، فمثال المطلق قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[سورة القصص:76]. فقد نقل الطبري عن مجاهد أنّه قال: "هو فرح البَغْي"[2].

وقَالَ الزَّجَّاجُ: "مَعْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعلم: لَا تَفْرَحْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ فِي الدُّنْيَا لأَن الَّذِي يَفْرَحُ بِالْمَالِ يَصْرِفُهُ فِي غَيْرِ أَمر الْآخِرَةِ."[3]

وأما مثال الفرح المقيّد بشرّ، فهو كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[سورة الأنعام:44].

---

[1] ابن عطية، عبد الحق (ت 542 هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام، عبد الشافي. 6مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1422هـ). ج3 ص126.

[2] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج19 ص623.

[3] الزجاج، إبراهيم بن السري (ت311هـ): معاني القرآن وإعرابه. 5مج. تحقيق: شلبي، عبد الجليل. ط1. بيروت: عالم الكتب. (1408هـ-1988م). ج4 ص155.

فلما انهمكوا بالمعاصي ولم يتّعظوا بما أصابهم من البأساء والضّرّاء، استدرجهم الله بالتوسعة عليهم بالنعم الوفيرة، ففرحوا بهذه النعم فَرَحَ كِبْرٍ، وأعجبوا بما أوتوا "مِنَ النِّعَمِ ولَمْ يَزِيدُوا غَيْرَ البَطَرِ والِاشْتِغالِ بِالنِّعَمِ عَنِ المُنْعِمِ والقِيامِ بِحَقِّهِ سُبْحانَهُ وتَعالى"[1] فأنزل الله عليهم العذاب فجأة فإذا هم آيسون من النجاة.

ثانيًا: الفرح اصطلاحًا:

قال القرطبي: "الفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب"[2].

وقال ابن القيم: "الفرح لذّةٌ تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، فيتولّد من إدراكه حالةٌ تسمّى الفرح والسُّرور."[3]

أمّا محمد رشيد رضا فيقول: "والفرح كَالسُّرُورِ: انْفِعَالٌ نَفْسِيٌّ بِنِعْمَةٍ حِسِّيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ يَلَذُّ الْقَلْبَ وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ وَضِدَّهُمَا الْأَسَى وَالْحُزْنُ"[4].

أمّا علماء النفس فيعبّرون عن الفرح بقولهم " أمرٌ نسبيٌّ يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة؛ فمن كان هدفه في الحياة جمع المال، والحصول على القوة أو النفوذ وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا، كان نجاحه في تحقيق هذه الأهداف باعثًا على فرحه وسروره. ومن كان هدفه في حياته التمسك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لكي يحصل على السعادة في الحياة الآخرة، كان ذلك مصدر أمنه وطمأنينته وسروره"[5].

الخلاصة: أن الفرح انفعال يبعث على انشراح الصدر بلذة في القلب؛ لتحقيق مراد محبوب أو درء ضرر مكروه.

---

[1] البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: المرعشلي، محمد. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1418هـ). ج2 ص162.

[2] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج8 ص354.

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: البغدادي، محمد. ط3. دار الكتاب العربي. (1416هـ)، ج3 ص148.

[4] رضا، محمد رشيد (ت 1935م): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). الهيئة المصرية العامة. (1990م). ج11، ص333.

[5] النجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس. ط7. مصر: دار الشروق. (1421هـ-2001م). ص96.

المطلب الثاني: تصوير مشاهد الفرح في اليوم الآخر من جزء عمّ

آيات الفرح في جزء عمّ:

عَرضَتِ الآيات مظاهر انفعال الفرح، وبيّنت آثار هذا الانفعال في ثلاثة مواضع، وهي كالآتي:

أولًا: إسفار الوجوه فرحًا

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾[سورة عبس:33-42].

وفي هذا المقطع ينتقل السياق القرآني من الكلام عن خلق العباد ومعاشهم، إلى الكلام عن آخرتهم ومعادهم، وفيه تتجلى سعادة المؤمنين واستبشارهم ونضارة وجوههم وسط مشهد مَهيب مُخيف، تبرز فيه شدة هول يوم القيامة، فيفرّ الإنسان من أعز الناس إليه وأقربهم منه، فيتخلى عنهم ويهرب منهم، والكافرون تعلو وجوههم غبرة الذل ويغشاهم سواد المعصية وتتملّكهم الحسرة، فبالرغم من شدة الموقف وهوله واشتغال كل امرئ بنفسه، إلا أن المؤمنين مطمئنون فرحون مستبشرون برحمة الله وفضله وكرمه وجوده ومَنّه.

فيقَوْلُ تَعَالَى: "﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾: أي مشرقة مضيئة، قد علمت مالها مِنَ الْفَوْزِ وَالنَّعِيمِ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ. ضاحِكَةٌ أَيْ مَسْرُورَةٌ فَرِحَةٌ. مُسْتَبْشِرَةٌ: أَيْ بِمَا آتَاهَا اللَّهُ مِنَ الْكَرَامَةِ. وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَاسَانِيُّ: مُسْفِرَةٌ مِنْ طُولِ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ."[1]

"فهذه وجوه مستنيرة منيرة متهللة ضاحكة مستبشرة، راجية في ربها، مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها، فهي تنجو من هول الصاخة المذهل لتتهلل وتستنير وتضحك وتستبشر، أو هي قد عرفت مصيرها، وتبين لها مكانها، فتهللت واستبشرت بعد الهول المذهل"[2].

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 16 ص226-227.

[2] سيّد قطب: في ظلال القرآن، ج 6 ص3834.

وإذا رجعنا إلى مادة الكلمة "مُسفِرة"، فهي: اسم فاعل من الفعل "أَسْفَرَ" ومعنى أسفر: أشرَقَ وأضاءَ، فيُقال: أَسْفَرَ الصُّبْحُ أي أَضَاءَ، وأسفرَ وجهه حُسْنًا أي أشرقَ[1] وكأنّ المؤمنين الذين سيطرتْ على قلوبهم خشيةُ الله، والخوفُ من عقابه، والهيبة من عظمته، فانعكس ذلك على تعابير وجوههم في الدنيا، فلطالما اغبرّت في طاعة الله وشحبت من كثرة البكاء من خشية الله، إلا أنّها حينما تُبَشّر بالنعيم المقيم والفوز المبين، ستشرق إشراق الشمس، وتستنير استنارة القمر من شدة المسرّة والبهجة والسرور، فتنقلب بيضاء مستبشرة لما ينتظرها من أنسام الرضوان ونعيم الجنان.

واختار الكلام عن الوجوه لا عن الأشخاص: " لما فى الوجوه من قدرة على التعبير عما فى النفوس من مشاعر وعواطف.. حيث ينطبع عليها كلّ ما يقع على الإنسان مما يسوء أو يسرّ "[2]

فمن كان بحّاثًا عن الحق مشّاءً بالخير، مقتديًا بالنبي صلى الله عليه وسلم متأسيًا به، يحفظ حقوق الله ولا يتعدّى حدوده، فإن الله سيحفظه عند اختلال نظام الكون واضطرابه، فيؤمّنه من الخوف، وينير وجهه يوم تَسْوَدُّ الوجوه، فيتهلل ويستبشر كونه نجا من العذاب، وهو مُقبل على ما وعده الله به من النعيم المقيم عطاءً حسابًا لأيمانه الراسخ وعمله الصالح.

ثانيًا: نضارة الوجوه من شدة الفرح

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٖ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾[سورة المطففين:22-28].

بعد أن تحدّث الله سبحانه وتعالى عن مصير الفجار العاصين، انتقل بأسلوب المقابلة إلى الكلام عن مصير الأبرار الطائعين، فهم يتقلّبون في النعيم والجِنان، متكئين على سرر مرفوعة، فهم " في موضع

[1] يُنظَر: الرازي، محمد بن أبي بكر (ت666هـ): مختار الصحاح. تحقيق: محمد، يوسف. ط5. بيروت: المكتبة العصرية. (1420هـ-1999م)، ص148.

[2] الخطيب، عبد الكريم (ت 1390هـ): التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي. ج16 ص465.

التكريم، ينظرون حيث يشاءون، لا يَغُضّون من مهانة[1]، ولا يُشغَلون عن النظر من مشقة.. وهم على الأرائك وهي الأسرة في الحِجال. وأقرب ما يمثلها عندنا ما نُسمّي «الناموسية» أو الكلة! وصورتها الدنيوية كانت أرقى وأرق مظاهر النّعيم عند العربي ذي العيشة الخشنة! أما صورتها الأخروية فعلمها عند الله"[2] فينظرون إلى نِعَمِ الله ومِنَنِهِ وكَرَمِهِ.

والذي يقتضيه أسلوب المقابلة أنهم ينظرون إلى الله جل جلاله، إلا أنّ الفجارَ محجوبون عن رؤيته عقابًا لهم، أمّا الأبرار فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم إكرامًا لهم، يقول ابن كثير: "مَعْنَاهُ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَهَذَا مُقَابَلَةٌ لِمَا وُصف بِهِ أُولَئِكَ الْفُجَّارُ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[سورة المطففين:15]. فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُبَاحُونَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى سُرُرِهِمْ وَفُرُشِهِمْ"[3] فإذا نظرت إلى وجوههم تراها مشرقة ناعمة متهللة، كيف لا؟ وقد حظيت بالنظر إلى وجهه الكريم وجوده العميم ونعيمه المقيم.

وإذا أنعمنا النظر بمعنى كلمة "نضرة" سنجد أنّ من معانيها: النِّعمة والنعومة وبريق الذهب[4] وهذا يعني أنّ الأبرار بعدما أخذوا أماكنهم في الجنة، فجلسوا على الأرائك، تتجوّل أبصارهم بما أعدّ الله لهم من النعيم المقيم، وتتمتّع أفئدتهم بأنهار الجنّة وحُورِها وقصورِها، فتظهر آثار الفرح وبهجته ورونقه على وجوههم فهي ناعمة كنعومة الحرير، مشرقة تتلألأ بنضرة النعيم، لها بريق كبريق الذهب اللامع.

وهذه الوجوه ما أشرقت ولا أضاءت ولا تهلّلت إلا فرحًا بجزاء الله وكرمه وحُسن ثوابه، فأصبحت آثار النعيم بارزة على وجوههم، وقد بيّن ذلك سبحانه وتعالى في قوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾[سورة

---

[1] أي أنهم لا يُذَلّون ولا يُحتقرون.

[2] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3859.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج38 ص352.

[4] يُنظَر: الأزهري، محمد بن أحمد (ت 370هـ): تهذيب اللغة. ت: عوض، محمد. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط1. 2001م. ج12 ص10.

المطففين:24]. "أي بهجةَ التنعمِ وماءَهُ ورونَقُه والخطابُ لكلِّ أحدٍ ممن له حظ منَ الخطابِ للإيذانِ بأنَّ مالهم من آثارِ النعمةِ وأحكامِ البهجةِ بحيثُ لا يختصُّ برؤيته راءٍ دُونَ راءٍ"[1].

ومن النعم المُفضية إلى الفرح أنهم يُسقَوْنَ من أجود أنواع الخمر التي لا غِش فيها، "تُخْتَمُ أوانِيهِ بِمِسْكٍ، بَدَلَ الطِينِ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ الشَرابُ في الدُنْيا، أمَرَ اللهُ (تَعالى) بِالخَتْمِ عَلَيْهِ إكْرامًا لِأصْحابِهِ"[2].

وبعد تَعْداد النعم وَوَصْفِها يحثّ الباري إلى التنافس عليها، فالمقربون يشربون صِرفًا من عين التسنيم التي تأتي من أعالي الجنة، وأما غيرهم فيُمزَج لهم من غير التسنيم، قال قتادة: "قَوْلُهُ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾[المطففين:27]. شَرَابٌ شَرِيفٌ، عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَتُمْزَجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[3].

إذن أجواء الجنة كلّها فرح وسرور وطمأنينة، ولمن يريد الفوز بألوان النعيم الوافرة، لا بدَّ أن يشمّر عن سواعد الجِدّ، للثبات على الجادّة القويمة والصراط المستقيم.

كما أنّ الباحث سيبيّن الحكمة والمقصِد من ذكر أوصاف أصحاب اليمين وأحوال الفائزين يوم الدين في المطلب الثالث إن شاء الله تعالى.

ثالثًا: انقلاب المؤمن إلى أهله فرحًا مسرورًا

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾[سورة الانشقاق:7-9].

إن المؤمنين البارّين، الذين أطاعوا الله وامتثلوا لأوامره، وخافوه واجتنبوا نواهيَه، ولم يأمنوا مكره، فإنهم سيأخذون كتاب أعمالهم بيمينهم، ويُعرضون على ربهم فيتجاوز عن سيئاتهم ويعفو عنهم، والمقصود بالحساب اليسير هو العرض، فقد استشكلت سيدتنا عائشة رضي الله عنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: من نوقش

[1] أبو السعود، محمد بن محمد (ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 9مج. بيروت: دار إحياء التراث. ج9 ص128

[2] النسفي، عبد الله (ت 710 هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق: بدوي، يوسف. بيروت: دار الكلم الطيب. (1419هـ-1998م). ج3 ص616.

[3] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. ج24 ص224.

الحساب عُذب، فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن حُوسِبَ يَومَ القِيامَةِ، عُذِّبَ فَقُلتُ: أليسَ قدْ قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[سورة الانشقاق:8]؟ فقالَ: ليسَ ذاكِ الحِسابُ، إنَّما ذاكِ العَرْضُ، مَن نُوقِشَ الحِسابَ يَومَ القِيامَةِ عُذِّبَ."[1]

"والذي يؤتى كتابه بيمينه هو المَرضي السعيد، الذي آمن وأحسن، فرضي الله عنه وكتب له النجاة. وهو يحاسب حسابا يسيرًا. فلا يناقش ولا يدقق معه في الحساب."[2]

فكيف لا يفرح المؤمن وقد فاز بالأجر والثواب، ونجا من العقاب والعذاب، وأهله في الجنة ينتظرونه؛ ليشتركوا سويًا في النعيم ويتمتعوا بحسن المآب.

والتعبير بقوله تعالى "**ينقلب إلى أهله مسرورًا**"[3] فالكلمة "ينقلب" ذاتها تحمل في ظلالها البهجة والسرور والإسراع في تبشير الأهل ومشاركتهم بالفرح، فهذا التعبير يجعلنا نتصور المؤمن آخذًا كتابه بيمينه يكاد يطير من الفرح، يعود إلى أهله مسرعًا مستبشرًا ليبشرهم بنجاته من النار وفوزه بالجنة.

[1] مسلم: صحيح مسلم. كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب. ج4 ص204. رقم 2876

[2] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3867.

[3] سورة الانشقاق، آية 9

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير مظاهر انفعال الفرح في مشاهد يوم القيامة.

هناك العديد من الحِكَم لإيراد انفعال الفرح في مشاهد يوم القيامة وهي كالآتي:

1. **تحقيق الأمن النفسي للقارئ إثْرَ الوَجَل الذي يُحدثه سياق التّرهيب:**

كل مشهد من مشاهد الفرح والنعيم يقابله مشهد من مشاهد الحزن والعذاب في السورة نفسها غالبًا.

جدول 2

مشاهد الفرح والنعيم في جزء عم

السورة	مشهد الفرح والنعيم	مشهد الحزن والعذاب
المطففين	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾	﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾
عبس	﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾	﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾
الإنشقاق	﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾	﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾

منهجيّة القرآن في مشاهد اليوم الآخر، أنّه يقابل بين الجنّة والنّار، بين النّعيم والعذاب، فتارة يُرغّب بالجنّة وأخرى يُرهّب بالنّار، يذكر ابن عاشور عند تفسيره قوله تعالى: (وجوه يومئذ مسفرة) أن السياق كان "لِلتَّهْدِيدِ والوَعِيدِ وتَهْوِيلِ ما يَلْقَوْنَهُ يَوْمَ الحَشْرِ، وأمّا ذِكْرُ حَظِّ المُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ دَعا إلى ذِكْرِهِ الِاسْتِطْرادُ عَلى عادَةِ القُرْآنِ مِن تَعْقِيبِ التَّرْهِيبِ بِالتَّرْغِيبِ."[1]

فالمشاهد الثلاثة التي تشير إلى انفعال الفرح قد وردت في خِضمِّ أهوال يوم القيامة الشديدة، وفي تلك الأهوال برز التّرهيب بشكل جليّ، فاقتضت حكمة الباريّ أن يَذْكر الصنف الثّاني من النّاس، الذين يشعرون بالأمن والسّعادة؛ كونهم نَجَوْا من العذاب وبُشّروا بالثواب، فذِكْرُ الوجوه المستبشرة المنيرة، ومن يحاسب حسابًا يسيرًا، ومن يُضاء وجهه نضرةً وسرورًا، هو نوع من التّرغيب الذي يُضفي الطمأنينة في نفس المؤمن، ويعزز الرجاء ويوازن بينه وبين الخوف من الله.

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية. ج30 ص137.

2. **الحث على أعمال البر التي تستوجب الفرح في الآخرة:**

أنزل الله سبحانه القرآن هداية للناس ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[سورة إبراهيم:1]. وفي ذكر الفرح والسرور في الآخرة، نوع من أنواع التشجيع على الهداية لمن امتثل أوامر الله وانتهى عمّا حرّم الله، التي تدفع المؤمن إلى فعل القربات، وتعينه على الامتناع عن الشهوات، وتصبّره على الابتلاءات، فالفرح بطبيعته يبعث على الهمة والعزيمة والنشاط.

فمن يعلم أنه سيأتي يوم يلاقي فيه ربه فيجازيه على عبادته وطاعته وصبره، ويأخذ كتابه بيمينه ويرجع إلى أهله مسرورًا مستبشرًا، ويؤمّنه من أهوال يوم القيامة، ويُغدِق عليه في العطاء حتى تُعرَفَ من وجهه نضرةُ النّعيم، فإنه سيطرق كل سبل الخير، ويسعى جاهدًا في تحصيل أعمال البر حتى يحظى بهذا النعيم يوم الحساب.

المبحث الثاني: انفعال الرّضا

إنّ في الآخرة جنةً كما أنّ في الدنيا جنةً أيضًا؛ وجنّة الدنيا هي الرضا، فشعور الإنسان بالرضا يحقق له السّكينة والاستقرار النّفسيّ، ويحمله على تقبّل القضاء والقدر بِحُلوه ومُرّه، بصدر منشرح ونفس خاضعة، ومن فاز برضا الله تعالى عنه فقد نال الجزاء الأكبر والنعيم الأعظم في الجنّة قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

المطلب الأول: مفهوم الرّضا في اللغة والاصطلاح.

أولًا: الرضا لغة:

وهو مصدر للفعل: (رَضِيَ) يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ السُّخْطِ وضده."[1]

وقال ابن منظور: "رضي: الرِّضَا، مقصورٌ: ضدُّ السَّخَطِ."

فقد جاء هذا المعنى في القرآن فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[سورة محمد:28]. فهذه الآية تبيّن أن السخط هو ضد الرضا.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الدعاء: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ برِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وبمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ، وأَعوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصي ثَناءً عَلَيْكَ أَنت كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"[2] وهذا الحديث يؤكّد المعنى السابق.

ثانيًا: الرضا اصطلاحًا:

عرّف الحارث المحاسبيّ الرضا بأنّه: "سُكُون الْقلب إلى أحكام الله"[3].

---

[1] يُنظَر: ابن فارس: مقاييس اللغة. ج 2 ص402، وابن منظور: لسان العرب. ج14 ص323.

[2] مسلم: صحيح مسلم. كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود. ج1 ص352. رقم 486

[3] المحاسبي، الحارث بن أسد (ت: 243هـ): آداب النفوس. تحقيق: عطا. عبد القادر. بيروت: دار الجيل. ص151.

قال الجرجانيّ: "الرضا: سرور القلب بِمُرِّ القضاء"[1].

وقال القُشَيْريّ: "الرضا ارتفاع الجزع فِي أي حكم كَانَ"[2].

وقال المُنَاويّ: "الرضا: طيب النَفْس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغيّر."[3]

والحاصل أن الرضا هو: هدوء في القلب لكل ما يقضي به الله، وسرور في النفس لكل ما يحكم به الله، والتفويض لأمر الله، والقناعة بما قسم الله، مع عدم التسَّخّط والتّضجّر.

وقد ذكرت مادة (رضي) ومشتقاتها ثلاثًا وسبعين مرة في القرآن الكريم[4].

المطلب الثاني: مشاهد الرّضا لأصحاب اليمين في جزء عمّ

ذكرت مشاهد الرضا في أربعة مواضع من جزء عمّ، وهي كالآتي:

المشهد الأول: الرضا بالسعي من أفضل النِّعم في الآخرة

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾[الغاشية:8-16].

يقول محمد عبده معلقًا على هذا المقطع من الآيات: "انظر كيف قدّم من الأوصاف للجنة وضروب نعيمها ما هو روحاني يليق بأرباب النفوس العالية والمقامات الرفيعة في العرفان وكمال الوجدان، فذكر أن الرضا بالسعي ولذته فوق اللذائذ، فإنه لا لذة تفوق عند العامل لذة سروره بعمله، ثم أتبعه بالتنزه عن اللغو وما لا فائدة فيه وهو أسمى ما يطلب الكامل أن يحيا به، ثم جاء بعد ذلك بما لا شبه باللذائذ الجسمانية المعهودة

[1] الجرجاني: التعريفات. ص111

[2] القشيري، عبد الكريم (ت 465 هـ): الرسالة القشيرية. 2مج. تحقيق: محمود. عبد الحليم. القاهرة: دار المعارف

[3] المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (ت 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف. ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1410هـ.

[4] يُنظَر: عبد الباقي، محمد فؤاد (ت:1388هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط4. بيروت: دار الفكر. 1418هـ. ص408-409.

لنا في هذه الحياة فقال: فيها عين جارية."[1] فتقديم النعيم الروحاني –وهو الرضا بالعمل–، دليل على رفعته وأهميته وعلو مقامه.

"فهنا وجوه يبدو فيها النعيم. ويفيض منها الرضى. وجوه تنعم بما تجد، وتحمد ما عملت. فوجدت عقباه خيرا، وتستمتع بهذا الشعور الروحي الرفيع. شعور الرضى عن عملها حين ترى رضى الله عنها. وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته، ثم يراها ممثلة في رضى الله الكريم. وفي النعيم. ومن ثم يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على ما في الجنة من رخاء ومتاع"[2].

إذن وجوه المؤمنين نَعِمَتْ بما رأت من ثمرة عملها الصالح، ورضيت بعملها وسعيها عندما رأت ثوابها عند ربها، وفي هذا موعظة بليغة لكل من يجدّ ويجتهد وينصب بهذه الدنيا، فعليه ألا يستثقل الطاعات والقربات والصدقات التي تسبب الكُلفةَ وبعض المشقة، فإنّ ما يَشُقُّ عليه في الدنيا ويشعره ببعض الصعوبة والضيق، سيكون في الآخرة سببًا للشعور بالرضا عن العمل الصالح الذي اكتسبه، وما يُفضي إليه من حسن المآل.

المشهد الثاني: رضا الله عن العبد ورضا العبد عن الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾[سورة البينة:7–8].

قال الفخر الرازي: "فاعْلَمْ أنَّ العَبْدَ مَخْلُوقٌ مِن جَسَدٍ ورُوحٍ، فَجَنَّةُ الجَسَدِ هي الجَنَّةُ المَوْصُوفَةُ، وجَنَّةُ الرُّوحِ هي رِضا الرَّبِّ، والإنْسانُ مُبْتَدَأُ أمْرِهِ مِن عالَمِ الجَسَدِ ومُنْتَهى أمْرِهِ مِن عالَمِ العَقْلِ والرُّوحِ، فَلا جَرَمَ ابْتَدَأ

[1] محمد عبده (ت: 1323هـ): تفسير القرآن الكريم. ط:3. مصر: الجمعية الخيرية الإسلامية. 1341هـ. ص73.

[2] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3897.

بِالجَنَّةِ وجَعَلَ المُنْتَهى هو رِضا اللَّهِ، ثُمَّ إنَّهُ قَدَّمَ رِضى اللَّهِ عَنْهم عَلى قَوْلِهِ: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ لِأنَّ الأزَلِيَّ هو المُؤَثِّرُ في المُحْدَثِ، والمُحْدَثُ لا يُؤَثِّرُ في الأزَلِيِّ."[1]

ويبيّن الرازي أنه قال (رضي الله عنهم) فاختار لفظ الجلالة (الله) ولم يختر غيره؛ لأنه أشد الأسماء هيبة وجلالة، فهو دال على صفات الجلال والجمال، فَرِضَى الله عنهم يكون بمدحهم وتعظيمهم، ورِضَى الخلق عن الله يكون بالفرح والرضا على ما جازاهم به من الثواب والنعيم على أعمالهم.[2]

فإن "هذا الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم.. وهذا الرضا في نفوسهم عن ربهم. الرضا عن قدره فيهم. والرضا عن إنعامه عليهم. والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم. الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق. إنه تعبير يلقي ظلاله بذاته.. «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» حيث يعجز أي تعبير آخر عن إلقاء مثل هذه الظلال!"[3].

بيّنت هاتان الآيتان أنّ ثواب المؤمنين الصادقين، الذين عملوا الصالحات ومنها جهاد الأعداء وجهاد النفس وإنفاق المال، ولم تكن ولايتهم إلا لله، والتزموا حدود الله، وامتلأت قلوبُهم خشيةً من الله ولم يشذوا عن فطرة الله، فكان جزاؤهم أن الله جعلهم خير الخليقة ورضي عنهم فأرضاهم فرضوا عنه.

المشهد الثالث: النّفْس المطمئنّة ترجع إلى ربّها راضية بعملها مرضيّةً بثوابها

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[سورة الفجر :27-30]

فهي راضية بما قدمته من العمل، مرضية من قِبَل الله ومطمئنة من قِبَلِ مخلوقاته.

---

[1] الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت 606 ه): مفاتيح الغيب. 32مج. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420ه. ج32 ص252.

[2] يُنظَر: المرجع السابق. ج32 ص252.

[3] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3953

قال البقاعي: "﴿ٱرۡجِعِيٓ﴾ أيْ بِالبَعْثِ ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أيْ مَوْعِدِ الَّذِي أوْجَدَكَ ورَبّاكَ تَرْبِيَةَ المُوَفَّقِينَ، أوْ إلى بَدَنِكَ حالَ كَوْنِكَ ﴿رَاضِيَةً﴾ أيْ بِما تُعْطِينَهُ. فَلا كَدَرَ يَلْحَقُكَ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ أصْلًا كَما كُنْتَ في دارِ القَلَقِ والِاضْطِرابِ مُطَمْئِنَةً ساكِنَةً تَحْتَ القَضاءِ والقَدَرِ سالِكَةً سَبِيلَ الرِّضا إنْ حَصَلَ ابْتِلاءٌ بِالتَّكْرِيمِ والتَّنْعِيمِ أوِ التَّضْيِيقِ والتَّغْرِيمِ وُثُوقًا بِما عِنْدَ اللَّهِ ﴿مَّرۡضِيَّةً﴾ عِنْدَ اللَّهِ وسائِرِ خَلْقِهِ، فَلا شَيْءَ يُكْرِهُكَ بِسَبَبِ ما كُنْتَ مُطَمْئِنَةً تَعْمَلِينَ الأعْمالَ الصّالِحَةَ تَحْتَ القَضاءِ والقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ حُلْوِهِ ومُرِّهِ"[1]

والحقيقة أن هذا المشهد يفيض رقة وعذوبة وطمأنينة، فيه يتناسق الإيقاع مع الحال " وفي وسط الشّدِ والوَثاق، الانطلاقُ والرخاءُ: «ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ» ارجعي إلى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة المهد. ارجعي إلى ربك بما بينك وبينه من صلة ومعرفة ونسبة.. «راضِيَةً مَرْضِيَّةً» بهذه النداوة التي تفيض على الجو كله بالتعاطف وبالرضى.. «فَادْخُلِي فِي عِبادِي».. المقربين المختارين لينالوا هذه القربى.. «وَادْخُلِي جَنَّتِي» .. في كنفي ورحمتي.. إنها عطفة تنسم فيها أرواح الجنة. منذ النداء الأول: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ»"[2].

فعندما يستمع القارئ لهذا النداء ووصف النفس بالمطمئنة، فإنه ينزل بردًا وسلامًا على قلب كل مؤمن متبتلٍ مجاهدٍ صائمٍ في النهار قائمٍ في الليل، ولو ابتُلي بأن زُجَّ في السجن خلف القضبان ظلمًا وعدوانًا، أو ظلمَ في ماله أو عرضه من أي إنسان، فإن المتدبر للقرآن يلحظ جو الرضا والطمأنينة والأمن الذي يغمر هذا المشهد، وهذا ما يشفي صدور المؤمنين ويُذهب غيظ قلوبهم.

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. (1404هـ-1984م) ج22 ص43.

[2] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3907.

المشهد الرابع: من ظفر بالجنة العالية سيعيش عيشة راضية

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾[سورة القارعة:6-7].

الله سبحانه وتعالى عندما وصف يوم القيامة قسّم الناس فيه إلى قسمين:

القسم الأول: وهم أصحاب اليمين الذين ثَقُلت موازينهم بالأعمال الصالحة، فهم يعيشون عيشة هنيئة مرضية، كيف لا؟ وهم في جنّة سامقة عالية، وقطوف الأشجار وثمارها دانية، لا يُسمَع فيها صَخَبٌ ولا لاغية.

القسم الثاني: وهم الذين خفّت موازينهم من الأعمال الصالحة، ورجحت كِفّة السيئات على الحسنات، فيكون مصيرهم أنّهم يهوون على رؤوسهم في نار جهنّم الحامية.[1]

وقد عبّر النظم القرآنيّ بقوله: (عيشةٍ راضيةٍ) ولم يقل: مرضيّة، لأنّ وصف المعيشة بأنّها عيشةٌ راضية "يحقق الرضا لجميع النفوس، صغيرها وكبيرها، فلا يجد الإنسان- أي إنسان- حيث تقلّب في هذه العيشة، إلا الرضا المطلق، الذي لا يتكلف له جهدًا، وهى معيشة تُنزِل الناس جميعا منزلةً عاليةً، وترتفع بنفوسهم عن كل ما هو دون محتقر"[2]

وإسناد الرضا إلى المعيشة هو أسلوب بلاغيٌّ فيه مجاز عقليٌّ يبيّن أن صاحبها بلغ غاية المأمول ووصل إلى ذروة الرضا وحاز صفوة الحسن والكمال، قال ابن عاشور: "وَوَصْفُ الْحَيَاةِ بِ راضِيَةٍ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ لِأَنَّ الرَّاضِيَ صَاحِبَهَا رَاضٍ بِهَا فَوُصِفَتْ بِهِ الْعِيشَةُ لِأَنَّهَا سَبَبُ الرِّضَى أَوْ زَمَانُ الرِّضَى."[3]

فلك أن تتخيل حالة الرضا والفرح التي سيعيشها المؤمنون في الجنة، كيف لا؟ هم يتنقلون من بشارة إلى بشارة، ومن ثواب إلى ثواب، يمشون على هدى ونور من ربهم، فهل يُعقَل أن تترك هذه العيشة الراضية الخالدة الطيبة، وتستبدل بدنيا فانية زائلة لا تساوي عند الله جناح بعوضة!

---

[1] يُنظَر: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج32 ص267

[2] الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن. ج15 ص1141.

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير. ج30 ص514.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الرضا في مشاهد يوم القيامة

1. **تبشير المؤمنين بالأمن والرضا يوم القيامة:**

إن أطهر النفوس وأرقاها النفس المطمئنة، فجازاها الله على اطمئنانها ورضاها بقضاء الله لها، أن تنال الرضا في النعيم المقيم الذي ستفوز به في الآخرة، فَتَحَقُّقُ الرضا من قِبَل العبد عن الثواب لَفضلٌ عظيم، لكن الفضل الأعلى والأسمى أن يرضى عنه الله، فذلك هو الفوز المبين.

فكما أن النفس المطمئنة هي أنقى النفوس، فإنّ نَعْتَها بالرضا في موقف الهول من أعذب النعوت؛ فإنها ستُنَعّم وتُكَرّم بنعيم يفوق الأنهار والحور والجنان، ذلك النعيم هو الفوز بالرضوان، والرضوان أكبر من الجنان والغرف والحور المقصورات في الخيام أعظم، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[سورة التوبة:72].

فهذه الآية تؤكد أن الرضوان أعظم من الجنان والمساكن الطيبة.

2. **المقابلة النفسيّة بين الكافرين والمؤمنين:**

إن الآيات التي تصور حال الكافرين تتسم بالشدة والقوة فهي تقرع القلوب قرعًا وتهز النفوس هزًا، أمّا آيات الرحمة والنعيم والرضا فهي مغمورة باللطف والراحة والرخاء، وهذه المقابلة تتجلى بوضوح في سورة الفجر، فنلاحظ أن الآيات التي سبقت الحديث عن النفس المطمئنة الراضية كانت تصور الهول والروع في يوم القيامة فيقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾[سورة الفجر:21-23]. فبعد هذا العرض العسكري الذي فيه الدّك والعذاب وشدّ الوثاق والنّدم، في وسط هذا المشهد المهيب والمخيف، تُنادى النفس

المؤمنة ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[سورة الفجر:27-30].

"هكذا في عطف ولطف "يا أيتها" وفي روحانية وتكريم: "يا أيتها النفس" وفي وسط الروع "المطمئنة" وفي وسط الوثاق والشد الانطلاق والرخاء "ارجعي إلى ربك" بما بينك وبينه من صلة وإضافة "راضية مرضية" بهذا الانسجام الذي يغمر الجو كله بالرضى والتعاطف. "فادخلي في عبادي" ممتزجة بهم متوادة معهم "وادخلي جنتي" الجنة المضافة لي. والموسيقى حول المشهد مطمئنة متموجة رخية، في مقابل تلك الموسيقى الشديدة العسكرية"[1].

3. تصبير الدعاة والمتمسّكين بالدين على وعورة الطريق

لا شك أننا نعيش في زمان اختلت فيه الموازين واضطربت فيه المعايير، فنحن نعيش في زمان يُصبح فيه الحليم حيرانًا، فالفتن تموج موجًا، وتعصف عصفًا، ومن المشكلات التي يواجهها المسلم المُستَمسك بالعروة الوثقى أنّه يُعاني من جهالة الأبناء وكثر الأعداء، فأعداء الإسلام يتربصون به الدوائر، ويكيدون له المكائد، فيروّجون للشذوذ الجنسيّ، ويبيحون تعاطي المخدرات، وينشرون المجون بشتى أنواعه؛ كنشر الأفلام الإباحية، والتبرّج، والعُري، والاختلاط، وشرب الخمر... وغيرها الكثير، كلّ ذلك حتى يُضِلوا أبناءنا ويُشغلوهم عن طاعة ربهم، والتمسّك بدينهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لم يكتفوا بذلك فحسب، بل عملوا جاهدين على تشويه صورة الإنسان المسلم الملتزم والمتديّن، فصوّروه بأبشع الصور التي تعكس أن الالتزام يعني الإرهاب والتخلف والرجعية والتعصب، والناس تشاهد ذلك وتصدّقه إلا من رحم الله، فكلّ إنسان ملتزم داعٍ إلى الله عاملٍ في حقل الدعوة لا بدّ أن يُعادَى من عدة أطراف؛ من أعدائه أصحاب المنكر المجاهرين به، ومن أقربائه وأبناء جلدته الجهلة منهم، وكل ذلك قد يثبّط من عزيمته

[1] سيّد قطب: مشاهد القيامة في القرآن الكريم. ص71.

ويقلّل من إنجازاته، كما أنهم يُشعِرونه بأنّه شديد الطبع، ضيّق الأفق، غريب الأطوار، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الدّين سيعود غريبًا في آخر الزمان فقال: " بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"[1].

إلّا أنّ المؤمن، المُعتزَّ بدينه، الحريصَ على اقتفاء هدي نبيه صلى الله عليه وسلم، فإنّه عندما يستمع الآياتِ التي تبشّر المؤمن القابض على الجمر بالفوز بالجنة والنجاة من النار والرضا بالعمل الصالح وما أعدّ الله له من النعيم المقيم والحور والقصور، في اليوم نفسه الذي يخسر فيه الكافر خسرانًا مبينًا ويدعو ثبورًا، فإنّ ذلك يثبّت قدمَهُ ويعزّز يقينَه ويخفّف مصابَه ويرفع همّته، ويمدّه بالصبر والتجلّد على أذى الناس، والاستمرار بعزيمة ونشاط، فإن الفوز بالآخرة هو غاية المُنى، وما عند الله هو خير وأبقى.

[1] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا. ج1 ص130، رقم 145.

المبحث الثالث: انفعال الطّمأنينة

كل إنسان عاقل يبحث عن السعادة في هذه الحياة الدنيا، ويسعى جاهدًا للوصول إليها والحصول عليها، وإنّ من أبرز ما يوفّر السعادة للإنسان؛ هو وجود الطمأنينة وسكون النَّفْس، ومن فضل الله تعالى على عباده الصالحين، أنْ بيّن لهم في كتابه العزيز سُبل الوصول إلى تحقيق الطمأنينة، والظَفَر بها في الحياة الدنيا الممّتلئة بالقلق والأحزان، وبالآخرة التي تَذْهل فيها المرضعةُ وتَشيب الوِلْدَان.

المطلب الأول: مفهوم الطّمأنينة في اللغة والاصطلاح

أولًا: الطمأنينة لغة:

الطمأنينة تأتي بمعنى السكون وهي مشتقة من الفعل "طَمَنَ" قال ابن فارس: "(طَمَنَ) الطَّاءُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أُصَيْلٌ بِزِيَادَةِ هَمْزَةٍ. يُقَالُ: اطْمَأَنَّ الْمَكَانُ يَطْمَئِنُّ طُمَأْنِينَةً. وَطَامَنْتُ مِنْهُ: سَكَّنْتُ."[1] وابن منظور أيضًا يؤكّد هذا المعنى فيقول: "الطُّمَأْنِينَةُ: السُّكونُ. واطْمَأَنَّ الرَّجُلُ اطْمِئناناً وطُمَأْنينة أَي سَكَن، ذَهَبَ سِيبَوَيْهِ إِلى أَن اطْمَأَنَّ مَقْلُوبٌ، وأَن أَصله مِنْ طَأْمَنَ"[2].

و**الحاصل** أنّ الطُّمأنينة هي اسم من الاطمئنان بمعنى السكون والاستقرار.

ثانيًا: الطمأنينة اصطلاحًا:

يبيّن ابن القيّم أنّ طمأنينة القلب هي: "سكونه واستقرارُه بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه"[3]وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الصدق تطمئن إليه النفس فقال: "دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ"[4].

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة. ج3 ص422.

[2] ابن منظور: لسان العرب. ج13 ص268.

[3] ابن القيم: الروح. ص276.

[4] الترمذي: جامع الترمذي. قال الترمذي: وهذا حديث صحيح. ج4 ص668. رقم 2518

وهذا السكون لا يتحصّل بشيء سوى ذكر الله والتفكر بعظمته وعدله وكرمه، وأما ما عداه فلن تجد من خلاله للطمأنينةُ سبيلًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[سورة الرعد:28].

فمتى خضع المؤمن وركن إلى جَنْبِ الله وأخبت في عبادةِ مولاه، وآمن بقضاء الله، وانصاع لأوامر الله، وطابت نفسه عند ذكر الله، وتواضع لعباده وأحسن إليهم، ولجأ إلى الله في حالي الأمن والخوف، والشدة والرخاء، فإن الله سيملأ قلبه طمأنينةً وسكينةً ورضا وقناعةً.

و**الحاصل** أنّ الطمأنينة هي سكون النفس وهدوء القلب دون قلقٍ ولا وَجَلٍ.

المطلب الثّاني: مشهد الطّمأنينة لأصحاب اليمين في جزء عمّ

إنّ كلّ آية تبشّر بأنّ نعيم الجنة باقٍ لا يَنْفَد كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾[سورة التين:6]. وغير ممنون أي: "غير مقطوع"[1] وكل آية تبشّر بأنّ الحياة في الجنة أبديةٌ سرمديةٌ، كقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾[سورة البينة:8]. فإن هذه الآيات تنزل بردًا وسلامًا على قلوب المؤمنين وتشعرهم بالطمأنينة والسكينة والهدوء والراحة والسعادة، وسيكتفي الباحث ببيان المشهد الذي تحدّث فيه الخطاب القرآنيّ عن الطمأنينة بشكل خاص وصريح وواضح، وهو مشهد واحد في جزء عمّ وهو كالآتي:

[1] الزجاج: معاني القرآن وإعرابه. ج5 ص344

النفس المطمئنة تدور مع الحق حيث دار:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[سورة الفجر:27-30].

وردت لفظة "الطمأنينة" بصيغها المختلفة في ثلاثة عشر موضعًا من القرآن الكريم[1].

مردّها إلى معنى واحد وهو: "السكون"؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾[سورة البقرة:260] فسيدنا إبراهيم كان أثبت الناس إيمانًا، لكنه أراد أن يزداد قلبه سكونًا ونفسه بصيرة وهذا يتحقق عند رؤية إحياء الموتى، وكذلك قوله تعالى: "﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾" "المطمئنة: الساكنة الدائرة مع الحق"[2].

فبعد أن ذكر حال النفس الأمارة بالسوء ومصيرَها الذي تؤول إليه من شدة الوثاق والعذاب، ختم السورة بالثناء على النفس المطمئنة المُخبِتة المتواضعة المترفّعة عن الرغائب الدنيوية، الشاكرة في الغنى الصابرة على الفقر، التي تسكن مع الحق حيثما سكن وتدور معه حيثما دار، فهي راكنة إلى ربها في جميع أمورها، واقفة عند شرعه ثابتة القدم بمعرفة الحق وسلوك سبيله، لا تزعزعها الشهوات ولا تضطرب بها الابتلاءات؛ لذلك استحقت وصف المطمئنة.

فهي مطمئنة لأنها؛ كما قال الصحابي زيد بن أسلم رضي الله عنه: "بُشِّرَتْ بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ، وَيَوْمَ الْجَمْعِ"[3] ومما يُستأنس به أن النفس تُبشّر بالجنة عند الموت، ما حدث مع ابن عباس عند وفاته قال "سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَجَاءَ طَائِرٌ لَمْ يُرَ عَلَى خِلْقَتِهِ طَائِرٌ قَطُّ، فَدَخَلَ نَعْشَهُ، ثُمَّ لَمْ يُرَ

[1] يُنظَر: عبد الباقي، محمد فؤاد (ت:1388هـ): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص428.

[2] الإيجي، محمد بن عبد الرحمن (ت: 905هـ): جامع البيان في تفسير القرآن. 4مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1424هـ). ج4 ص489.

[3] ابن أبي حاتم، عبد الرحمن: (ت: 327هـ). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. 13مج. تحقيق: محمد. أسعد. ط3. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى. (1419هـ). ج10 ص431.

خَارِجًا مِنْهُ، فَلَمَّا دُفِنَ تُلِيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ –لَا يُدْرَى مَنْ تَلَاهَا–: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً."[1]

وَفِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[سورة الفجر:27–30] دَلِيلٌ عَلى أَنَّها لا تَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلّا إذا كانَتْ مُطْمَئِنَّةً. فَهُناكَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ. وتَدْخُلُ في عِبادِهِ. وتَدْخُلُ جَنَّتَهُ."[2]

فما أجمل أن تُلبّي النفس أمر بارئها وهي آمنة مطمئنة مُفعمة بالرضا راسخة باليقين، بينما تكون النفس الأمّارة بالسوء خائفة وجلة يَقُضُّ مضجعَها الرعبُ ويؤرّقها الندم.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الطمأنينة في مشاهد يوم القيامة

1. **النظر في عواقب الأمور من خلال بيان النفع العائد إلى الإنسان:**

عندما صوّر لنا القرآن حال الإنسان المؤمن في الآخرة، بعد ذِكْر أهوال القيامة، وبيّن لنا أنه سيكون مطمئنًا بثلج اليقين راضيًا بثواب الله مرضيًا عند الله، فهذا فيه إشارة إلى أهمية النظر في المآلات وعواقب الأمور، فإن مشقة الطاعة تذهب ويبقى أجرها، ولذة المعصية تذهب ويبقى وزرها.

يعلّق المراغي على مشهد النفس المطمئنة الذي نحن بصدده فيقول: "بعد أن ذكر حال الإنسان الذي خلّى[3] وطَبْعَهُ، فاستولى عليه جشعه وحرصه على رغباته وشهواته، حتى خرجت عن سلطان الحكمة والعقل، ثم ذكر عاقبة أمره في الآخرة– أعقب هذا بذكر حال الإنسان الذي ارتقى عن ذلك الطبع وسمت نفسه إلى مراتب الكمال، فاطمأن إلى معرفة خالقه، واستعلى برغائبه إلى المطامع الروحية، ورغب عن اللذات الجسمانية، فكان في الغنى شاكرا لا يتناول إلا حقه، وفي الفقر صابرا لا يمد يده إلى ما لغيره، وبين أنه في

[1] المصدر السابق. ج10 ص431

[2] ابن القيم: مدارج السالكين. ج3 ص349.

[3] أي الذي ترك العمل الصالح في الدنيا

ذلك اليوم يكون بجوار ربه راضيا بعمله في الدنيا، مرضيا عنده، يدخله فى زمرة الصالحين المكرمين من عباده."[1]

فَذَكَرَ لنا الإنسان الذي تغلّبَ على شهواته وترفّع عن غرائزه، فكان على البلاء صابرًا وعن قضاء الله راضيًا، وفي الغنى شاكرًا، كما أنه خاطبه بالنفس ولم يخاطبه بالإنسان؛ لأن التعبير بالإنسان يشير إلى النزعة الحيوانية[2]، أما النفس فهي بهذا السياق بمعنى الروح والروح علوية لا تنشغل إلا بما يليق بها.

فبيان الاطمئنان والرضا الذَيْن تنعم بهما النفس في الآخرة هو بمثابة الضوء الذي ينير آخر النفق، ففيه نوع من حشد النفس وتحفيزها نحو التقرب من الله، واعتصامها بحبله المتين واستقامتها على صراطه المستقيم، وذكر الخير العائد والفوز القادم يثبّت القدم ويصونها من الزلل، ويدفعها إلى زيادة العمل الصالح والمداومة عليه.

ثم إذا أمعنا النظر فسنلاحظ أن القرآن لم يكتفِ ببيان الطمأنينة التي يبشّر بها من استقرّ على الحق وآمن بكل ما ثبت عن خالق الخلق، بل ذكر ما تؤول إليه هذه النفس المطمئنة من حُسْن العاقبة فقال: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾[سورة الفجر:29-30] "أي فادخلي في زمرة عبادي المكرمين، وانتظمي في سلكهم، وكونى في جملتهم، فالنفوس القدسية كالمرايا المتقابلة، يشرق بعضها على بعض، وكأنها تربّى في هذه الدنيا بالآلام وتزين بالمعارف والعلوم، حتى إذا فارقت الأبدان جعلت في أماكن متقاربة، بينها صفاء ومودة، وحسن صلة ومحبة.

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ فتمتعي فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر."[3]

---

[1] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): تفسير المراغي. 30مج. ط1. مصر: مكتبة مصطفى البابي. (1365هـ-1946م). ج30 ص153.

[2] بعد استقراء الآيات التي ذكرت الإنسان في القرآن، نجدها في الغالب إما أنها تتحدث عن خلقته، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢﴾[المؤمنون:12]، وإما أن يأتي في سياق الذم كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾[الإسراء:11]. ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ٥٤﴾[الكهف:54]. ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا ٦٧﴾[الإسراء:67]. وهكذا...

[3] المراغي: تفسير المراغي. ج30 ص154.

المبحث الرابع: انفعال الاستبشار

وردت مادة (بشر) في صيغها المختلفة في القرآن الكريم ثلاثًا وعشرين ومائة (123) مرة[1]، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنّ المؤمنين ويستبشرون عند رؤية ما أُعدّ لهم من الخير العميم والنعيم المقيم، وأنّهم سُتشفى صدورهم وتَنجلي أحزانهم، عند رؤية مصير الكافرين المستهزئين، فسيضحك المؤمنون من حال الكافرين في الآخرة، كما كان الكافرون يضحكون من حال المؤمنين في الدنيا.

المطلب الأول: مفهوم الاستبشار في اللغة والاصطلاح.

أولًا: الاستبشار لغةً:

تدور معاني الاستبشار حول طلاقة الوجه وحُسنِه وجمالِه، عند وجود الخبر السار المفرح[2].

ثانيًا: الاستبشار اصطلاحًا:

ومعناه في الاصطلاح لا يخرج عن معناه في اللغة فهو: انبساط الوجه نتيجة لامتلاء القلب فرحًا وسعادةً.

وهذا ما بيّنه الزمخشري حيث قال: "الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورًا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل"[3].

وعرّف محمد أبو زهرة الاستبشار بأنّه: "طلب البشرى، والبشرى هي الأمر الذي يُدخل السرورَ في النفس، لأمر كان يتوقع منه مرهوبًا أو محبوبًا فتجيء البشرى بالمحبوب دون المرهوب"[4].

---

[1] يُنظر: عبد الباقي، فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص119-121

[2] يُنظَر: الفيومي: المصباح المنير، ج1 ص49، الزبيدي: تاج العروس، ج10 ص185، ابن منظور: لسان العرب، ج4 ص61

[3] الزمخشري، محمود بن عمر(ت538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب. (1407هـ-1987م). ط3. ج4 ص132.

[4] أبو زهرة، محمد (ت 1394 هـ): زهرة التفاسير. دار الفكر العربي. ج3 ص505.

المطلب الثّاني: مشهد الاستبشار لأصحاب اليمين في جزء عمّ

ابتهاج وجوه المؤمنين عند رؤية النعيم

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾[سورة عبس:38-39].

يأتي هذا المقطع بعد ذكر أهوال القيامة؛ فهي الصاخة التي يفر فيها المرء من أمه وأبيه وزوجه وأولاده ففيه تتقطع كل أواصر القرابة وتتمزق وشائج الرحم، فكل إنسان منشغل بنفسه يراجع حساباته وينتظر مصيره.

"بعد أن ذكر الأهوال التي تعرض للناس في ذلك اليوم، وأنها لا تسعف أحدًا بمواساة أحد ولا الالتفات إليه مهما يكن عطفه واتصاله به- أردفه بيان أن الناس في ذلك اليوم سعداء وأشقياء"[1].

فوجوه المؤمنين تكون مضيئة متهللة مشرقة يوم القيامة؛ لأنّها لم تنظر إلى الحرام ولم تتمرغ في المعاصي، بل كانت تتقلب بين الوضوء والصلاة وقراءة القرآن، ويبيّن الفخر الرازي سبب إشراق الوجوه وسرورها في الآخرة فيقول: "عِنْدِي أَنَّهُ بِسَبَبِ الخَلاصِ مِن عَلائِقِ الدُّنْيا والِاتِّصالِ بِعالَمِ القُدْسِ ومَنازِلِ الرِّضْوانِ والرَّحْمَةِ"[2] لذلك استحقت النور والضياء في الآخرة.

فهي "﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ بِما تُشاهِدُ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ والبَهْجَةِ الدّائِمَةِ."[3]

"وَ(مُسْتَبْشِرَةٌ) مَعْنَاهُ فَرِحَةٌ، وَالسِّينُ وَالتَّاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ مِثْلَ: اسْتَجَابَ، وَيُقَالُ: بَشَرَ، أَيْ فَرِحَ وَسُرَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾[يُوسُف: 19] أَيْ يَا فَرْحَتِي. وَإِسْنَادُ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ إِلَى الْوُجُوهِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ لِأَنَّ الْوُجُوهَ مَحَلُّ ظُهُورِ الضَّحِكِ وَالِاسْتِبْشَارِ، فَهُوَ مِنْ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى مَكَانِهِ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْوُجُوهَ كِنَايَةً عَنِ

[1] المراغي: تفسير المراغي. ج30 ص50.

[2] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج31 ص62.

[3] أبو السعود، محمد بن محمد (ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 9مج. بيروت: دار إحياء التراث. ج9 ص113.

الذَّوَاتِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرَّحْمَن: 27]. وَهَذِهِ وُجُوهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُطْمَئِنِّينَ بَالًا الْمُكْرَمِينَ عَرْضًا وَحُضُورًا."[1]

إذن وجوه المتقين الفائزين يوم القيامة مضيئة منيرة ضاحكة مسرورة بكرم الله ونعيمه المتزايد؛ ذلك لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فادخروا أعمالًا صالحة، وأقوالًا طيبة نافعة، أنارت صحفهم وأثقلت موازين حسناتهم، فنسأل الله أن يجعلنا منهم ويرشدنا للسير على خطاهم.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الاستبشار في مشاهد يوم القيامة.

1. التبشير بُغية المواساة والتثبيت.

أُوذي المسلمون عامة والنبي صلى الله عليه وسلم خاصة في بداية الإسلام، فاتُّهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنّه شاعرٌ وكاهنٌ وساحرٌ ومجنونٌ، وأوذي الصحابة من بعده فهذا أبو بكر رضوان الله عليه يُعتدى عليه ويُضرب حتى يتسربل بالدماء، وهذا خباب بن الأرت فقد عانى كثيرًا في سبيل الله، حتى أن ظهره كان مليئًا بالحفر والنتوء التي تركها الجمر الذي لم يطفئه إلا ودك[2] ظهر خباب رضوان الله عليه، وهذا غَيْضٌ من فَيْضٍ، فكثير من الصحابة أُوذوا في أموالهم وأنفسهم.[3]

ثم جاءت سورة المطففين مصوِّرةً للسخرية التي يتعرض إليها المؤمنون من قِبَل المجرمين، إلا أنه في هذه السورة خاصة أسهب بعرض مشهد النعيم قَبْل ذكر سخرية المجرمين، على غرار جميع السور في جزء عمّ التي غالبًا يكون مشهد العذاب فيها هو الأطول "فنجد أن هذه الإطالة من الناحية التأثيرية فن عال في الأداء التعبيري، كما أنه فن عال في العلاج الشعوري. فقد كانت القِلَّة المسلمة في مكة تلاقي من عنت المشركين وأذاهم ما يفعل في النفس البشرية بعنف وعمق. وكان ربهم لا يتركهم بلا عون، من تثبيته وتسريته وتأسيته.

---

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص138

[2] أي شحم اللحم أو الدهن الذائب، يُنظر: ابن منظور: لسان العرب. ج10 ص509

[3] يُنظَر: أبو نعيم، الأصبهاني (ت: 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. مصر: مطبعة السعادة. (1394هـ-1974م). ج1 ص143.

وهذا التصوير المفصَّل لمواجعهم من أذى المشركين، فيه بلسم لقلوبهم. فربهم هو الذي يصف هذه المواجع. فهو يراها، وهو لا يهملها –وإن أمهل الكافرين حينا– وهذا وحده يكفي قلب المؤمن ويمسح على آلامه وجراحه. إن الله يرى كيف يسخر منهم الساخرون. وكيف يؤذيهم المجرمون. وكيف يتفكه بآلامهم ومواجعهم المتفكهون. وكيف لا يتلوم هؤلاء السفلة ولا يندمون! إن ربهم يرى هذا كله. ويصفه في تنزيله. فهو إذن شيء في ميزانه... وهذا يكفي! نعم هذا يكفي حين تستشعره القلوب المؤمنة مهما كانت مجروحة موجوعة"[1].

فكانت هذه الآيات شفاءً لصدورهم وعلاجًا لجراحهم وتخفيفًا لآلامهم، كما أنّ بيان أحوال الناس يوم القيامة يزجر الإنسان عن الكفر ويحفّز المؤمن على الطاعة والشكر، وهذا نوع من أنواع التثبيت.

1. **الضد ودوره في التماسك النصي في السورة الواحدة:**

تتعانق الآيات وتلتحم أجزاء السورة الواحدة، وترتبط بدايتها مع نهايتها من خلال علاقة الضّدّ التي تحقق التماسك والتناسب، فتخدم موضوع السورة وتعين على الوصول إلى أغراضها.

فإنّ سورة عبس فانطلقت بداية هذه السورة بالمقارنة بين صنفين مختلفين متضادين وهما من أعرض واستغنى، ومن خشي وجاء يتزكّى، فقال تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[سورة عبس:5–10].

وخُتمت هذه السورة أيضًا بمقابلة وجيزة بين نوعين متضادين، فمنها وجوه منيرة فرحة مستبشرة، وأخرى مظلمة عابسة مكفهرّة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١﴾[سورة عبس:38–41].

[1] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص4523.

فكأن هذه الخاتمة جاءت لتبيّن مصير كل صنف ذُكر في مطلع السورة، وأن اختلافهما بالآخرة ناتجٌ عن اختلافهما في الدنيا، ذلك لأن من أغراض هذه السورة "التَّنْوِيهُ بِضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَعُلُوِّ قَدْرِهِمْ وَوُقُوعِ الْخَيْرِ مِنْ نُفُوسِهِمْ وَالْخَشْيَةِ، وَأَنَّهُمْ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ الْغِنَى الَّذِينَ فَقَدُوا طَهَارَةَ النَّفْسِ، وَأَنَّهُمْ أَحْرِيَاءُ بِالتَّحْقِيرِ وَالذَّمِّ، وَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكفْر والفجور."[1]

ويكون ما جاء أثناء السورة خادمًا للتقابل الموصل إلى غرض السورة، فتشكّل السورة كتلة متماسكة مترابطة، فقد أدى التضاد في السورة إلى تلاحم السورة وتماسكها، بالرغم من تنوّع موضوعاتها.

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص102.

الفصل الثاني

الانفعالات النفسيّة لأصحاب الشمال

المبحث الأول: انفعال النّدم

وردت مادة النّدم بمشتقّاتها سبع مرات في القرآن الكريم[1]، ولا شكّ أنّ للندم أثرًا في حياتنا، فَنَدَمُ الإنسان على معصية مضت يُفضي إلى الإقلاع عنها وهجرها، علاوة على أنّه يحمله في المستقبل نحو العَزْمِ الصادق إلى عدم العودة إليها، كما أنّ نَدَمَ المنافقين والكافرين يوم القيامة هو نوع من أنواع العذاب النفسيّ الذي يلازمهم ولا ينفكّ عنهم.

وقبل بيان مشاهد الندم في جزء عم، ومقاصدها، لا بد من توضيح مفهوم الندم في اللغة والاصطلاح، وهو ما سأبيّنه من خلال المطلب الآتي:

المطلب الأول: مفهوم النّدم في اللغة والاصطلاح.

أولًا: تعريف النّدم لغة

تعود معاني النّدم إلى الحسرة، والأسف، والحزن، وهذا ما تبيّنه المعاجم اللغويّة:

أرجع الخليل بن أحمد الفراهيديّ النّدم إلى الحسرة فقال: "والتَنَدُّمُ: التَحَسُّر، وهو أن يتَّبِعَ الإنسانُ أمراً نَدَماً"[2]، وقد أكّد هذا المعنى الأصفهانيّ فقال: "النَّدْمُ والنَّدَامَةُ: التَّحَسُّر من تغيُّر رأي في أمر فَائِتٍ. قال تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[سورة المائدة:31]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠﴾[سورة المؤمنون:40]، وأصله من مُنَادَمَةِ الحزن له."[3]

---

[1] يُنظَر: عبد الباقي: المعجم المفهرس. ص863

[2] الفراهيدي. الخليل بن أحمد: العين. ج8 ص53.

[3] الراغب: المفردات في غريب القرآن. ص796.

أمّا صاحب لسان العرب فقد ردَّ مادّة النّدم إلى الأسف فقال: "نَدِمَ عَلَى الشَّيْءِ، ونَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ نَدَماً ونَدَامةً وتَنَدَّمَ: أَسِفَ"[1].

وجاء في المصباح المنير أنّ النّدم بمعنى الحزن وكراهة الشيء بعد فعله، "نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ نَدَمًا وَنَدَامَةً فَهُوَ نَادِمٌ وَالْمَرْأَةُ نَادِمَةٌ إذَا حَزِنَ أَوْ فَعَلَ شَيْئًا ثُمَّ كَرِهَهُ وَرَجُلٌ نَدْمَانٌ"[2].

فبعد الاطّلاع على المعاجم اللغويّة السابقة يتّضح أنّ معنى النّدم في اللغة يدور حول المعاني الآتية: التحسّر، الحزن المشوب بالأسف والحسرة، الأسف.

ثانيًا: تعريف النّدم اصطلاحًا

إنّ معنى النّدم الاصطلاحيّ لا يَخرجُ عن معناه اللغويّ، فهو يدور حول الحسرة، والأسف على ما فات.

وقد عرّف الزمخشريّ النّدم بأنّه: "من الغمّ اللّازِم إِذْ ينْدَم صَاحبه لما يَعْثُرُ عَلَيْهِ فِي الْعَاقِبَة من سوء آثاره."[3]

وبيّن صاحب التّعريفات أنّ النّدم هو: "غمٌّ يصيب الإنسان، ويتمنّى أنّ ما وقع منه لم يقع"[4].

وبيّن صاحب التّحرير والتّنوير أنّ "النَّدَم أَسَفُ الْفَاعِلِ عَلَى فِعْلٍ صَدَرَ مِنْهُ لَمْ يَتَفَطَّنْ لِمَا فِيهِ عَلَيْهِ مِنْ مَضَرَّةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[سورة الحجرات:6]"[5].

والنّدم عند علماء النّفس هو: "حالة انفعاليّة تنشأ عن شعور الإنسان بالذنب، وأسفه على ارتكابه، ولومه لنفسه على ما فعل، وتمنّيه لو أنّه لم يفعل ذلك"[6].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب. ج12 ص572.

[2] الفيومي، أحمد بن محمد (ت 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. 2مج. بيروت: دار الكتب العلمية. ج2 ص598

[3] الزمخشري، محمود بن عمر(ت538هـ): الفائق في غريب الحديث والأثر. تحقيق: البجاوي، علي محمد. 4مج. لبنان: دار المعرفة. ج3 ص418.

[4] الجرجاني: التعريفات. ص240.

[5] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج6 ص174.

[6] نجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس. ط:7. مصر: دار الشروق. (1421هـ-2001م). ص103.

والذي يَخلُص إليه الباحث بناء على ما سبق أنّ النّدم هو: حالة انفعاليّة تعتري الإنسان، تَصدُرُ عن شعور الإنسان بالخطأ والذنب، فتسبب له الحُزن، والأسف، والغمّ.

المطلب الثاني: مشاهد النّدم لأصحاب الشّمال يوم القيامة.

وَرَدَ انفعال النّدم في مشهدَيْن من مشاهد يوم القيامة في جزء عمّ، وهي كالآتي:

المشهد الأوّل: الكفار يتمنّون الموت ويرونه أهونَ من أهوال يوم القيامة.

وهو في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾[سورة النبأ:40].

في هذه الآية الكريمة يُحذّر الله الكافرين المنكرين للبعث، بأنّ يوم القيامة قريبٌ، فكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، ودَيْدَنُ المؤمنين أنّهم لا يُطيلون الأمل، بل في كلّ لحظةٍ يتوقّعون حضورَ الأجل وقبضَ الأرواح، ويعلمون أنّ قيام الساعة قريبٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾[سورة المعارج:6-7]. إلّا أنّ سِمَة الكفار، أنّهم يستبعدون قيام الساعة، ومنهم من يُنكرها بالكليّة؛ لذلك يستهزئون بالدِين ويجحدون الحساب فيه.

وفي هذا اليوم ينظر المؤمن، "ما قدمت يداه من خير اكتسبه في الدنيا، أو شرّ سَلَفَهُ، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله، ويخاف عقابه على سيئها"[1].

أمّا الكافر فسيندم ولاتَ حينَ مَنْدَمٍ، ومن شِدّة ندمه يتمّنى أنْ لو كان ترابًا لم يُصبْ شيئًا من متاع الدنيا، فيتمنّى الكافر "أَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنَ الْأَحْيَاءِ فَضْلًا عَنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الْمُكَلَّفِينَ بِالشَّرَائِعِ، أَيْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُدْرِكٍ وَلَا حَسَّاسٍ بِأَنْ يَكُونَ أَقَلَّ شَيْءٍ مِمَّا لَا إِدْرَاكَ لَهُ وَهُوَ التُّرَابُ، وَذَلِكَ تَلَهُّفٌ وَتَنَدُّمٌ عَلَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنَ الْكُفْرِ"[2] وهذه الأمنية هي أمنية محالة لا سبيل لتحققها فقد فات الأوان "وما يقولها إلا وهو ضائق

[1] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ج24 ص179.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص58.

مكروب! وهو تعبير يلقي ظلال الرهبة والنّدم، حتى ليتمنّى الكائن الإنسانيّ أنْ ينعدم. ويصير إلى عنصر مهمل زهيد. ويرى هذا أهون من مواجهة الموقف الرعيب الشديد.. وهو الموقف الذي يقابل تساؤل المتسائلين وشك المتشككين. في ذلك النبأ العظيم!"[1].

وإذا أنعمنا النظر في التركيب اللغوي للتعبير القرآني (يا ليتني) نجده مكونًا من أداة النداء (يا) وهي التي تفيد النداء للقريب أو البعيد[2]، لكن المقصود بها هنا النداء للبعيد؛ لأنّ ما يتمنّاه الكافر في هذا المقام بعيد المنال، بل هو محال، كيف لا؟ وهو يتمنّى تغيير أمور قد مضت وفاتت وصارت من الماضي الغابر، وليست أمورًا مستقبلية يتمنّى حدوثها، ومن الأمور الواضحة المتفق عليها أن الماضي لا يتغيّر، ثمّ هو ينادي على (ليت) التي تصوّر حالة الندم التي وصل إليها، فكأن الكافر لا يملك في هذا المقام إلا الندم، فهو ينادي الكلمة التي تصوّر الندم ويقول لها: تعالي فقد حان وقتك وآن أوانك، وكأن كل ما كان يندم عليه في الدنيا لا يستحق الندم والحسرة، وما هو عليه من الخوف والذعر والخسارة من سوء المصير هو ما يستحق الندم الحقيقي ويتطلب الحسرة.

إذن في هذا اليوم، يرى المؤمن ما قدّم من عمل صالح في الدنيا، ويجده محضرًا فيرضا به ويطمئن إليه، وأمّا الكافر فعندما يرى سوء عمله ممّا قدمت يداه من شركٍ، وظلمٍ، واستكبارٍ في الأرض، وشذوذٍ وترويجٍ للفاحشة، وحكمٍ بغير ما أنزل الله، ومعاداةٍ للفطرة، وتكميمِ أفواه المصلحين؛ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأكلٍ لحقوق الناس، واستباحةِ أعراضهم، وإسرافٍ على النفس بالملذات المحرمة... فمن شدة الحسرة والندم، يتمنّى أنْ لو كان ترابًا، أي لم يُخلَق ولم يَخرج إلى الوجود، أو المقصود حيوانًا يؤول إلى التراب، فالحيوانات بعد أن تستوفي حقها فيُقتص للجلحاء[3] من القرناء ترجع إلى التراب.[4]

---

[1] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3809.

[2] يُنظر: الغلاييني، مصطفى (ت: 1944م): جامع الدروس العربية. تحقيق: جاد، أحمد. القاهرة: دار الغد الجديد. ط1. (1438هـ-2016م). ص485

[3] أي: التي لا قرون لها. الأزهري: تهذيب اللغة. ج4 ص91.

[4] قال النبي صلى الله عليه وسلم: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. يُنظَر: مسلم: صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم. رقم: 2582.

المشهد الثاني: يوم يتمنّى المرء أنّه لو ادّخر عملًا صالحًا لآخرته

قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾[سورة الفجر:24].

هذه الآية تصوّر لنا حالة النّدم، والحسرة التي يعيشها المرء الذي خسر الآخرة الباقية، وباعها بالدنيا الفانية، فإذا دُكّت الأرض فصارت كالصخرة الملساء، "وتجلّت لأهل الموقف السطوة الإلهيّة، كما تتجلّى أُبّهة المَلِكِ للأعين إذا جاء المَلِكُ في جيوشه ومواكبه، ولله المثل الأعلى."[1]

وأُظهِرَت جهنّم للنّاس كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦﴾[سورة النازعات:36]. وجيء بها ولها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك، يقول النّبي صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا"[2].

عندئذ تذهب الغفلةُ وتأتي الحسرةُ، فيتذكّر الإنسان تفريطه بالإيمان والأعمال الصالحة، ويتذكّر ضلاله وانغماسه بمستنقع المعاصي والرذائل، فيتمنّى لو تتسنّى له الفرصة ليعود فيعمل غير الذي كان يعمل، ويندم يوم لا ينفع النّدم، ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾[سورة الفجر:24]، "يَعْنِي: يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي –إِنْ كَانَ عَاصِيًا– وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ ازْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ –إِنْ كَانَ طَائِعًا–"[3].

إذن عندما يدرك المرء أنّ الحياة الآخرة هي الحياة الحقيقيّة التي تستحق اسم الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ ٦٤﴾[سورة العنكبوت:64]. "﴿الحيوان﴾ أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة"[4]، وعندما يستيقن أنّ الدنيا فانية ليست بشيء، حينئذ يتمنّى لو أنّه استعدّ وادّخر أعمالًا صالحة تدخله الجنّة وتجعله يتقلّب في نعيمها ورغدها، وتنجّيه من النّار

[1] المراغي: تفسير المراغي. ج30 ص152.

[2] مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم. ج4 ص184 رقم:2842.

[3] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج8 ص400.

[4] السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ص135.

وحميمها وزقّومها، لكنْ في هذا اليوم لا ينفع النّدم ولا الأسف، فالدار الآخرة هي دار جزاء وحساب، وليست دار عمل وتوبة وإياب.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الندم في مشاهد يوم القيامة.

1. **الزجر عن فعل المعاصي بالتذكير بان عاقبتها الندم:**

عندما يتمنّى الكافر أنّه لو كان في الدنيا ترابًا، يُداس بالأقدام، ولا يؤبه له، ولا يُلتَفتُ إليه، بل ويفضّل ذلك على مصارعة الهول الشديد والعذاب المهين يوم القيامة، فهذا التمّني يصوّر لنا حالة النّدم، والأسف، والأسى، التي يعيشها الكافر في ذلك اليوم.

"وخُصَّ بِالذِّكْرِ مِن عُمُومِ المَرْءِ الإنْسانُ الكافِرُ الَّذِي يَقُولُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾؛ لِأنَّ السُّورَةَ أُقِيمَتْ عَلى إنْذارِ مُنْكِرِي البَعْثِ فَكانَ ذَلِكَ وجْهَ تَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ، أيْ: يَوْمَ يَتَمَنّى الكافِرُ أنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ مِنَ الأحْياءِ فَضْلًا عَنْ أصْحابِ العُقُولِ المُكَلَّفِينَ بِالشَّرائِعِ، أيْ: يَتَمَنّى أنْ يَكُونَ غَيْرَ مُدْرِكٍ ولا حَسّاسٍ بِأنْ يَكُونَ أقَلَّ شَيْءٍ مِمّا لا إدْراكَ لَهُ وهو التُّرابُ، وذَلِكَ تَلَهُّفٌ وتَنَدُّمٌ عَلى ما قَدَّمَتْ يَداهُ مِنَ الكُفْرِ.

وقَدْ كانُوا يَقُولُونَ: (أإذا كُنّا تُرابًا ورُفاتًا إنّا لَمَبْعُوثُونَ) فَجَعَلَ اللَّهُ عِقابَهم بِالتَّحَسُّرِ وتَمَنِّي أنْ يَكُونُوا مِن جِنْسِ التُّرابِ."[1]

إذن تمنّي الكافر أنّه لو كان ترابًا ولم يكن شيئًا مذكورًا، يبيّن لنا شدةَ العذاب وسطوتَه، وندمَ الكافر وحسرته، فتصوير حالة الندم التي تهيّمن على العاصي، وَتَمَنّيه أنْ لو كان ترابًا يُداس عليه ولا يُلتَفتُ إليه، تُبْرِزُ لنا كميّة الحسرة، والأسى التي تكتنف الإنسان العاصي في ذلك اليوم، لِمَا رأى من رداءة بضاعته، وفساد عمله، ممّا سيجعله يُزَجُ في النار زجًا، يقاسي حرًا يُذيب الجلود، وحميمًا يقطّع الأمعاء، وزقومًا يَغلي في البطون،

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص58.

فهذا التصوير يزرع في كيان الإنسان خوفًا من الله، يَزَعُهُ[1] عن اقتراف المعاصي، ويحمله على أداء الطاعات.

2. **إعطاء مِساحة من التفكير للموازنة بين مآلات الأمور:**

التراب هو أصل الإنسان، فقد خُلِقَ الإنسان من طين؛ فكأنّ الله يقول للإنسان أين ستذهب مني؛ فمن التراب خلقتك وإليه سأُعيدك ومنه سأخرجك تارة أخرى، قال تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾[سورة طه:55].

ليس ذلك فقط، بل ومن ماء الأرض يشرب ومن زرعها يأكل ومن هوائها يتنفس، وفي نهاية المطاف سيُدفن في جوفها؛ بحفرة لا تتجاوز نصف المتر عرضًا والمترين طولًا، ثم سيصير رفاتًا مختلطًا بترابها، فعلامَ يتكبّر الإنسان ويحارب الله في المعاصي والآثام؟

فإنّ تصوير حالة النّدم مع ذكر التراب، يُذكّر الإنسان بأنّه راجع إلى ربّه لا محالة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾[سورة العلق:8]. وأنّه إذا طغى وأفسد في الأرض وَعَتَا، فسيَعضُّ على أصابعه حسرةً ونَدَمًا، حينئذ يُعيد الإنسان حساباته، وذلك بعد فوات الأوان، إلّا أنّ الحاذق النَبيه يدرك أنّ القدوم إلى الله بعواطف الإحسان خير من الانقياد إليه بسلاسل الامتحان.

فالإنسان المؤمن حين يستحضر هذا المشهد ويقارن بين حالتي الطمأنينة والسعادة اللتَيْن يَنعم بهما الفائز بالجنّة، وبين حالتي النّدم والخوف اللَتَيْن تهيّمنان على العاصي والفاجر، هذه المقارنة تدفع المرء نحو النظر إلى مآلات الأمور، ممّا يجعله يختار كونه من أصحاب اليمين ويرفض كونه من أصحاب الشمال.

[1] الوزع: هو كفُّ النّفس عن هواها. ابن منظور: لسان العرب. ج8 ص390.

3. **ربط الخسارة الأخرويّة بالخسارة الدنيويّة لتقريب المشهد:**

لفظ التراب يُشعر الإنسان بخصائصه النفسيّة، فمن خصائصه أنّه خُلِقَ هلوعًا كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾[سورة المعارج:19-21]. فالإنسان بطبعه "شديد الحرص قليل الصبر"[1] خاصّةً إذا مسّه الضُرّ والفقر.

فعندما يسمع المرء تعبيرَ الكافر وتمنّيه بأنّه لو كان ترابًا، فهذا يجعله يفكّر بالخسارة؛ لأنّ الصلةَ وثيقةٌ بين التّراب والفقر، فالتراب من تَرِبَ، وتربت يداك تُقال للرجل الذي قلّ ماله فيُقال: "قَدْ تَرِبَ أَي افْتَقَرَ، حَتَّى لَصِقَ بالتُّرابِ"[2]، فكأنّه يُقرّب للإنسان معنى الخسارة الماديّة التي يندم عليها فيربطها مع الخسارة المعنويّة وهي الخسارة في الآخرة، فمجرّد سماعه بقرب الخسارة والفقر، فإنّه سيجزع ويهرع إلى العوامل التي تعينه على تفادي الخسارة، ونيل الفوز بالآخرة بجدارة.

[1] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج5 ص246.

[2] ابن منظور: لسان العرب. ج1 ص229

المبحث الثاني: انفعال الحزن

وردت مادة الحزن (42) مرّة في القرآن الكريم[1]، والحزن طبيعة إنسانيّة يستجيب الإنسان لها عند حصول أسبابها؛ كفقد حبيب أو حصول ابتلاء عصيب، إلا أنّ الحزن ليس مقصودًا لذاته، فلم يَرِدْ في القرآن إلا منفيًّا أو منهيًّا عنه[2]؛ فالمنفيّ كقوله تعالى: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾[سورة يونس:62]. والمنهيّ عنه كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾[سورة آل عمران:139]. ومن حِكَمِ ذلك التنبيه من مكر الشيطان وكيده الذي يسعى لإيقاع الحزن في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ١٠﴾[سورة المجادلة:10]، وقبل بيان مشاهد الحزن في جزء عم، ومقاصدها، لا بد من توضيح مفهوم الحزن في اللغة والاصطلاح، وهو ما سأبيّنه من خلال المطلب الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الحزن في اللغة والاصطلاح.

أولًا: الحزن لغةً:

والأصل في الحزن أنّه شِدّةٌ وخشونةٌ في الشيء، قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ خُشُونَةُ الشَّيْءِ وَشِدَّةٌ فِيهِ"[3].

كما ويبيّن الراغب الأصفهانيّ أنّ الحُزْن والحَزَنَ "خشونة في الأرض وخشونة في النّفس لما يحصل فيه من الغمّ، ويضادّه الفرح"[4].

الحزن: ضدُّ الفرح ونقيض السّرور، فإنّ الحُزْنَ والحَزَنَ: "نقيضُ الفرَح، وَهُوَ خلافُ السُّرور"[5].

---

[1] يُنظَر: عبد الباقي، فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص199-200.

[2] انظر: ابن القيم: مدارج السالكين. ج2 ص169.

[3] ابن فارس: مقاييس اللغة. ج2 ص54.

[4] الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص231.

[5] ابن منظور: لسان العرب. ج13 ص111.

والخلاصة مما سبق أنّ معاني الحزن تتمحور حول الغمّ والهمّ والخشونة في الشيء وهي نقيضة الفرح والسّرور.

ثانيًا: الحزن اصطلاحًا:

العلاقة وثيقة بين معنى الحزن اصطلاحًا وبين معناه لغة، فالمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي، فيقول الجرجانيّ: "الحزن: عبارة عمّا يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي."[1]

ويؤكّد المناوي هذا المعنى فيبيّن أنّ الحُزن هو: "الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي ويضاده الفرح"[2].

ويُعرّفه محمد رشيد رضا بقوله: "الْحُزْنُ أَلَمٌ يُلِمُّ بِالنَّفْسِ عِنْدَ فَقْدِ مَحْبُوبٍ أَوِ امْتِنَاعِ مَرْغُوبٍ، أَوْ حُدُوثِ مَكْرُوهٍ"[3].

والحاصل أنّ الحزنَ هو: الغمّ والألم الحاصل لفوات محبوبٍ، أو حدوثِ مكروهٍ.

أمّا الحزن عند علماء النفس فهو: "انفعال مضاد للفرح والسرور، وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصًا عزيزًا، أو شيئًا ذا قيمة كبيرة، أو حلّت به كارثة ما، أو فشل في تحقيق أمر هام"[4].

المطلب الثاني: مشاهد انفعال الحزن في جزء عمّ

وجوه تعلوها الغبرة وترهقها القترة لما تجده من الحزن والحسرة.

قال تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾[عبس:40-42].

---

[1] الجرجاني: التعريفات. ص86.

[2] المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف. ص139.

[3] رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم. ج7 ص310.

[4] نجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس. ص100.

إنّ مصير من تمرّد على الله، وأعرضَ عن سُنَّةِ رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وشاقَ اللهَ ورسولَه، وغَفِلَ عن الغاية التي خُلِقَ من أجلها، وهي العبادة، قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:56]. فإنّ وجوههم ستعلوها "غبرة الحزن والحسرة، ويغشاها سواد الذلّ والانقباض. وقد عرَفَت ما قدّمت فاستيقنت ما ينتظرها من جزاء"[1].

فمن كفر بالله وآثر هواه وشهوته، وغلّبها على الانصياع للحق وتحقيق طاعة الله، وامتثال أوامره فجمع بين الكفر والفجور؛ فإنّ وجهه سيغشاه السواد والكسوف من الحزن والشدّة والذلّة، لذلك "من احتقر عقله ورضي جهله، وصرفه عن الدليل ما أخذه عن آبائه وتلقّاه عن سلفه ورؤسائه، وشغل نفسه بالجدال، والمراء في تصحيح الأهواء، والتماس الحيل؛ لتقرير الباطل وترويج الفاسد، كما كان يفعل أعداء الأنبياء، ولا يزال يأتيه السفهاء لينصروا به أهواء الأغبياء، ثم يُتبع ذلك بأعمال تطابق ما يهوى وتخالف ما يزعم، يزعم الغيرة على الدين، ولا تجد عملًا من أعماله ينطبق على أصل قرره الدين، الدين ينهى عن الفواحش وهو يقترفها، الدين يأمر بصيانة المصالح العامة وهو يفتك بها... من كان هذا شأنه فماذا يكون حاله يوم يتجلّى الجبّار ويرتفع الستار، يجد كل شيء على خلاف ما كان يعرفه... يتحقق أنّ ما كان يظنّه من العمل خيرًا لنفسه صار وبالًا عليها، يرى الخبث حشو أعماله والخَيْبة حلف آماله، فيملك الهمّ نفسه لشر ما يتوقع، ويظهر أثر ذلك على وجهه، فتعلوه الغبرة، وتغشاه القترة؛ لأنه من الكفرة الفجرة."[2]

إذن وجوه الأشقياء تعلوها الغبرة، وتغشاها الذلّة، ويكسوها السواد المظلم المدلهم، فقد أيقنت أنها لا ينتظرها إلّا الشقاء والعذاب والعناء.

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن. 3834.

[2] محمد عبده: تفسير القرآن الكريم. ص24.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الحزن في مشاهد يوم القيامة

الترهيب من الكفر والضلال من خلال بيان عاقبة أهل الفسوق والانحلال.

وعد الباري سبحانه وتعالى من آمن وأصلح واتبع هداه، أنّه لن يضلَّ، ولن يحزن، ولن يشقى في الدنيا ولا في الآخرة، وأمّا من استكبر، وصدّ عن سبيل الله، وأعرض عن ذكر الله واتّبع هواه، فإنّه سيعيش في ضَنَكٍ، وتعاسةٍ، وقلقٍ، وحَيْرةٍ في الدنيا، وذلٍّ وصغارٍ وهوانٍ في الآخرة.

فالذي جعل وجوه الكافرين خاشعة ذليلة حزينة تعلوها الغبرة وتغشاها القترة؛ كونها لم تؤمن بالله، ولم تبتغِ بالأعمال وجه الله، "إن هؤلاء الكفار كانوا في حياتهم الدنيا يعملون ويجتهدون في أعمالهم، لكن لم يتقبلها ربهم، لأنهم لم يقدّموا عليها الإيمان بالله ورسوله، وهو الدعامة الأولى في قبول العمل عنده، ولأنهم لم يقصدوا بها وجهه تعالى، ولأنهم كانوا يجتهدون في مشاقة الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا."[1]

فمن دوافع الحزن، والكآبة التي تعكسها وجوه العاصين يوم القيامة، هي الصدمة، والبغتة التي تصيبهم عند معرفتهم أن أعمالهم التي تعبوا في جمعها، وعباداتهم التي انهمكوا بأدائها، وكانوا يظنون أنهم سيُجازون عليها الجزاء الأوفى، ثم يتضح لهم أنها فاسدة، باطلة، مردودة.

هؤلاء هم الأخسرون حقًا، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾[سورة الكهف:103-104].

فإن الناظر المتأمّل لهذا اليوم المرعب المفزع، المليء بالأهوال الجِسام والمآسي العِظام، عليه مراجعة حساباته، وتعزيز إيمانه، وتصحيح أعماله، وتحقيق الإخلاص فيها، حتى يتفادى تلك الأهوال، ويكون من أصحاب الوجوه المشرقة المسفرة المستظِلّة بظل عرش الرحمن.

[1] المراغي: تفسير المراغي. ج30 ص131.

أمّا من سعى في الأرض فسادًا، واتخذ إلهه هواه، ولم يمتثل لأوامر مولاه، وتنكّب عن سنة من اجبتاه الإله واصطفاه، فهذا حتمًا سيكون من أصحاب الوجوه الذليلة المهينة الخاضعة المنكسرة، التي لا تُسقى إلّا عينًا آنية متناهية في الحرارة، ولا تأكل إلا ضريعًا؛ وهو شوك من نار، لا يُسمِنُ البدن ولا يدفع الجوع.

المبحث الثالث: انفعال الذُلّ

وردت مادة الذُلّ أربعًا وعشرين (24) مرةً في القرآن الكريم[1]، فكل من أراد العزة في الدنيا والآخرة فعليه التمسّك بالصراط المستقيم والثبات عليه، وأن يضعَ مخافة الله نُصب عينيه، ويمتثل الأوامر ويجتنب النواهي، وقبل بيان مشاهد الذُلَ في جزء عم، ومقاصدها، لا بدّ من توضيح مفهوم الذُلّ في اللغة والاصطلاح، وهو ما سيبيّنه الباحث في المطلب الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الذُلّ في اللغة والاصطلاح

أولًا: معنى الذُلّ لغةً:

تدور معاني الذُلّ حول الخضوع والقهر والاستكانة واللين[2]

ثانيًا: معنى الذُلّ اصطلاحًا:

قال العسكري: "الذلة الضعف عن المقاومة"[3].

وقال ابن عاشور: "الذلة: خضوع في النفس واستكانة من جراء العجز عن الدفع"[4].

إذن الذُلّ هو: خضوع في النفس وضعف عن المقاومة.

وهو عند علماء النفس: الخجل المصحوب بالشعور بالمهانة والخزي والفضيحة والعار[5].

---

[1] يُنظَر: عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص275-276.

[2] يُنظَر: ابن فارس: مقاييس اللغة. ج2 ص345. ابن منظور: لسان العرب. ج11 ص257. الراغب: المفردات. ص330

[3] العسكري، الحسن بن عبد الله (ت395هـ): معجم الفروق اللغوية. تحقيق: بيات، بيت الله. ط1. مؤسسة النشر الإسلامي. (1412هـ). ص251

[4] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج9 ص119

[5] النجاتي: القرآن وعلم النفس. ص106

المطلب الثاني: مشاهد الذل لأصحاب الشّمال في يوم القيامة.

المشهد الأوّل: ضحك المؤمنين في الآخرة على الكفار الذين استهزأوا بهم في الدنيا

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾[سورة المطففين:34-36].

جاءت هذه الآيات بعد مشهدين قد أطال القرآن في وصفهما بهذه السورة –المطففين– على وجه الخصوص وهما: مشهد النعيم المقيم الذي يتمتع به المؤمنون المفلحون، ومشهد التهكم والهمز واللمز الذي كان يتلقاه المؤمنون من قِبَل الكافرين، فكانوا يهزؤون بهم ويسخرون من هيئتهم ويتخذونهم أحاديثَ لهوٍ ولعبٍ، إلا أن المفاجأة كانت في ختام السورة التي بيّنت أن قُبح صنيع الكفار سينقلب عليهم في الآخرة، فالمؤمنون سيضحكون من مصير الكافرين عندما يرونهم "أَذِلّاءَ مَغْلُولِينَ قَدْ غَشِيَتْهم قُنُونُ الهَوانِ والصَّغارِ بَعْدَ العِزِّ والكِبْرِ ورَهِقَهم أَلْوانُ العَذابِ بَعْدَ التَّنَعُّمِ والتَّرَفُّهِ."[1] فيكون هذا المشهد بلسمًا لقلوبهم وشافيًا لصدورهم، فبعد ذلك اليوم لن يسخر الكافرون من المؤمنين، بل المؤمنون هم الذين سيضحكون من الكافرين وسيفرحون بالنعيم المقيم الذي سيغدقه عليهم الجواد الكريم.

وضحك المؤمنين من الكافرين إنما هو على سبيل المشاكلة والمجانسة، فهم يضحكون عليهم في الآخرة كما كان الكفار يضحكون عليهم في الدنيا، غير أنّ المؤمنين لا يضحكون "ضحك الجاهل المغرور، بل ضحك الموقن المسرور، ضحك من وصل به يقينه إلى مشاهدة الحق فسُرَّ به، وانكشف لهم بالعيان ما كانوا يرجونه من إكرام الله لهم وخذلانه لأعدائهم، فسُرُّوا بذلك وفرحوا وضحكوا من أولئك المغرورين الجحدة، الذين تجلّت لهم عاقبة أعمالهم وظهر لهم سفه عقولهم وفساد أقوالهم، فنُكست أعناقُهم لخزيهم وذلهم، فما أعظم مَجْدَ المؤمنين في ذلك اليوم"[2].

---

[1] الألوسي، محمود بن عبد الله (ت1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: عطية، عبد الباري. 16مج. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ). ج15 ص284.

[2] محمد عبده: تفسير القرآن الكريم. ص48.

ثم يُختم المشهد بأسلوب تهكمي على منوال قوله تعالى: "﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[سورة الدخان:49]. "والمَعْنى كَأنَّهُ تَعالى يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: هَلْ جازَيْنا الكُفّارَ عَلى عَمَلِهِمُ الَّذِي كانَ مِن جُمْلَتِهِ ضَحِكُهم بِكم واسْتِهْزاؤُهم بِطَرِيقَتِكم، كَما جازَيْناكم عَلى أعْمالِكُمُ الصّالِحَةِ؟ فَيَكُونُ هَذا القَوْلُ زائِدًا في سُرُورِهِمْ، لِأنَّهُ يَقْتَضِي زِيادَةً في تَعْظِيمِهِمْ والِاسْتِخْفافَ بِأعْدائِهِمْ، والمَقْصُودُ مِنها أحْوالُ القِيامَةِ."[1]

وهذه الآية: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾[سورة المطففين:34] مليئة باللفتات البلاغية التي تمسح جراح المظلومين وتقوّي قلوب المؤمنين فعذاب الكافرين رحمة للمؤمنين، وهي كالآتي:

1. أفادت فاء السببية "أنَّ اسْتِهْزاءَهم بِالمُؤْمِنِينَ في الدُّنْيا كانَ سَبَبًا في جَزائِهِم بِما هو مِن نَوْعِهِ في الآخِرَةِ، إذْ جَعَلَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَكانَ جَزاءً وِفاقًا."[2] فتأمّل كيف جازى الله الكفار بمثل صنيعهم.
2. قدّم لفظ اليوم على يضحكون للاهتمام به لأنه يوم الحساب العظيم والجزاء الأبديّ.
3. الحصر والقصر: فقال ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ولم يقل: فاليوم يضحك الذين آمنوا، وذلك لإفادة الحصر، أي: في هذا اليوم المؤمنون فقط هم الذين يضحكون من الكفار ولن يستهزأ الكفار بالمؤمنين بعد ذلك اليوم.
4. تقديم (من الكفار) على (يضحكون) تدل على العناية والاهتمام بالمضحوك منهم تعجيلًا لإساءتهم عن سماع التقريع.
5. الإظهار في مقام الإضمار: لم يقل فاليوم الذين آمنوا منهم يضحكون وإنما ذكرهم وأظهرهم فقال: (من الكفار) للزيادة في الذمّ والتوبيخ.[3]

---

[1] الرازي: مفاتيح الغيب. ج31 ص95

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص214

[3] يُنظَر: المرجع السابق. ج30 ص214

المشهد الثاني: وجوه متعبةٌ في الدنيا ذليلةٌ في الآخرة

قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣﴾[سورة الغاشية:1-3].

عندما تغشى النّاسَ القيامةُ بأهوالها وشدائدها، تكون وجوه الكافرين ذليلة مرهقة، يظهر عليها الخّزي والحزن والهوان، من شدّة ما ترى من الهول والعذاب.

قال سيد: "يومئذ وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة؛ عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة، ولم تجد إلا الوبال والخسارة، فزادت مضضا وإرهاقا وتعبا"[1] ومما يزيد هذه الوجوه حزنًا وخيبة؛ أنّها تعبت ونصبِت عملًا في الدنيا إلا أن الله لم يتقبّلها منهم يوم القيامة؛ لأنّهم لم يؤمنوا بالله ورسوله ولم يبتغوا في عملهم وجه الله.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى حال الوجوه، والمراد هو حال أصحاب هذه الوجوه؛ لأنّ الوجه هو المرآة التي تعكس الحالة النفسية التي يمرُّ بها صاحبها، قال ابن عاشور: "وأُوثِرَتِ الوُجُوهُ بِالكِنايَةِ عَنْ أصْحابِها هُنا وفي مِثْلِ هَذا المَقامِ؛ لِأنَّ حالَةَ الوُجُوهِ تُنْبِئُ عَنْ حالَةِ أصْحابِها، إذِ الوَجْهُ عُنْوانٌ عَمّا يَجِدُهُ صاحِبُهُ مِن نَعِيمٍ أوْ شَقْوَةٍ، كَما يُقالُ: خَرَجَ بِوَجْهٍ غَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ بِهِ."[2]

فالذلّ والإرهاق الذي ظهر على وجوه الكافرين إنّما هو من آثار الحزن والخيبة من إحباط العمل يوم القيامة، فالحزن إذا نزلَ في القلب فإنّه سرعان ما يؤثّر في ملامح الوجه ويظهر في ثناياه. "وإنَّما خَصَّ الوَجْهَ، لِأنَّ الحُزْنَ والسُرُورَ إذا اسْتَحْكَما في المَرْءِ، أثَّرا في الوَجْهِ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، يَوْمَ إذْ غَشِيَتْ، ﴿خَٰشِعَةٌ﴾، ذَلِيلَةٌ، لِما اعْتَرى أصْحابَها مِنَ الخِزْيِ والهَوانِ."[3]

---

[1] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3896.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص295.

[3] النسفي: مدارك التنزيل. ج3 ص133.

المشهد الثالث: من يمنع النواصي من عبادة الله فسيسحب من ناصيته إلى نار جهنم

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦﴾[سورة العلق:15-16].

هذه الآيات هي جزء من آيات كان سببُ نزولها نهيَ أبي جهلٍ (فرعونَ هذه الأمة) النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم عن الصلاة بين ظهراني الكفار عند الكعبة[1]، فقال الحقُّ تبارك وتعالى متوعدًا ذلك الكافر الشقيَّ العُنْجُهيَّ، بأنّه لئن لم يتوقف عن نهي النبيّ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم عن الصلاة، لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه إذلالًا له وتنكيلًا به، قال الطبريُّ: "(لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ) يقول: لنأخذنّ بمقدم رأسه، فَلَنَضُمَنَّهُ ولنُذلنَّه؛ يقال منه: سَفَعْتُ بيده: إذا أخذتُ بيده. وقيل: إنما قيل (لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ) والمعنى: لنسوّدنّ وجهه، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه. وقيل: معنى ذلك: لنأخذنّ بناصيته إلى النار، كما قال: (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأقْدَامِ)."[2]

وفي هاتين الآيتين ردعٌ ووعيدٌ وزجر وتهديد، والكلمات قويةٌ جزلة تصوّر مشهدًا مفزعًا ومرعبًا، فإنّ السَفْعَ هو: "الْقَبْضُ الشَّدِيدُ بِجَذْبٍ. وَالنَّاصِيَةُ مُقَدَّمُ شَعَرِ الرَّأْسِ، وَالْأَخْذُ مِنَ النَّاصِيَةِ أَخْذُ مَنْ لَا يَتْرُكُ لَهُ تَمَكُّنٌ مِنَ الِانْفِلَاتِ فَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ أَخْذِهِ إِلَى الْعَذَابِ، وَفِيهِ إِذْلَالٌ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَقْبِضُونَ عَلَى شَعَرِ رَأْسِ أَحَدٍ إِلَّا لضربه أَو جرّه. وَأَكَّدَ ذَلِكَ السَّفْعَ بِالْبَاءِ الْمَزِيدَةِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمَفْعُولِ لِتَأْكِيدِ اللُّصُوقِ."[3]

واتُهمت الناصية بالكذب والخطأ، بالرغم من أنّ المرادَ صاحبُها؛ لأنّ الكافر الكاذب المتكبّر من كثرة كذبه ووقوعه في الخطأ المتعمَّد، باتَ الكذبُ والخطأُ ظاهرَيْن من ناصيته، يقول ابن عاشور: "وَوَصْفُ النَّاصِيَةِ

---

[1] قالَ أَبُو جَهْلٍ: هلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قالَ: فقِيلَ: نَعَمْ، فَقالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذلكَ لَأَطَأَنَّ علَى رَقَبَتِهِ -أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ في التُّرَابِ- قالَ: فأتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَهو يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ علَى رَقَبَتِهِ، قالَ: فَما فَجِئَهُمْ منه إلَّا وَهو يَنْكُصُ علَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بيَدَيْهِ، قالَ: فقِيلَ له: ما لَكَ؟! فَقالَ: إنَّ بَيْنِي وبيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِن نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: لوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا... مسلم: صحيح مسلم. كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب قوله: إن الإنسان ليطغى. ج4 ص154.

[2] الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن. ج24 ص525

[3] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص450

بِالْكَاذِبَةِ وَالْخَاطِئَةِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ. وَالْمُرَادُ: كَاذِبٌ صَاحِبُهَا خَاطِئٌ صَاحِبُهَا، أَيْ آثِمٌ. وَمُحَسِّنُ هَذَا الْمَجَازِ أَنَّ فِيهِ تَخْيِيلًا بِأَن الْكَذِب والخطء بَادِيَانِ مِنْ نَاصِيَتِهِ فَكَانَتِ النَّاصِيَةُ جديرة بالسفع"[1].

إن قبض الناصية واجتذابها ولطمها ووصفها بأنّها كاذبة خاطئة فيه غاية الإهانة والخزي والإذلال.

إذن هذه الآيات علاوة عن كونها ثبّتت قلب الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وهدّدت أعداءَه، إلا أنّها أيضًا تهددُ كلَّ من يَصُدُّ عن سبيل الله، ويكمّم أفواه العلماء، ويمنع المسلمين من أداء شعائرهم الدينيّة، ويقف في وجه دعوة الإسلام في كل زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها.

المشهد الرابع: من كان هُمزةً لمُزةً فإنّ وراءَه الحُطَمة

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ [سورة الهمزة:4].

هذه الآية تخاطب كلّ عائبٍ يُخيَّل إليه أنّ مالَه سيبقيه ويخلّده، بل إنّ هذا المال الذي جمعه سيكون وبالًا وحجةً عليه، وسيكون مصيره القذف في الجحيم، والطرح في النار الحطمة التي تُحطِّم كل شيء وتُكَسِّره[2]، لكنّ الذي ينفع الإنسانَ إيمانُه بالله والعملُ الصالحُ الخالصُ لله الموافقُ لسنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

فبدأ بحرف الزجر والردع كلا، واستخدام لفظ (النبذ) يدل على قذف الكافر وطرحه بالنار مُهانًا ذليلًا صاغرًا، قال الفخر الرازي: "فَإنَّما ذَكَرَهُ بِلَفْظِ النَّبْذِ الدّالِّ عَلى الإهانَةِ، لِأنَّ الكافِرَ كانَ يَعْتَقِدُ أنَّهُ مِن أهْلِ الكَرامَةِ"[3]، وقد اختار الباري سبحانه وتعالى لفظ (الحطمة) في هذا السياق لحَكِم بالغة، وهي تبرز من عدة أوجه وهي كالآتي:

[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص450.
[2] يُنظَر: ابن فارس: مقاييس اللغة. ج2 ص78.
[3] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج32 ص285.

"الوَجهُ الأوَّلُ: الاتِّحادُ في الصُّورةِ، كأنَّه تعالى يقولُ: إنْ كُنتَ هُمَزةً لُمَزةً، فوراءَك الحُطَمةُ. الوَجهُ الثَّاني: أنَّ الهامِزَ بكَسْرِ عَينٍ لِيَضعَ قَدْرَه فيُلقيَه في الحضيضِ، فيقولُ تعالى: وراءَك الحُطَمةُ، وفي الحَطْمِ كَسرٌ، فالحُطَمةُ تَكسِرُك وتُلْقيك في حَضيضِ جَهنَّمَ، لكِنَّ الهُمَزةَ ليس إلَّا الكَسرَ بالحاجِبِ، أمَّا الحُطَمةُ فإنَّها تكسِرُ كَسرًا لا تُبْقي ولا تَذَرُ! الوَجهُ الثَّالِثُ: أنَّ الهمَّازَ اللَّمَّازَ يأكُلُ لحمَ النَّاسِ، والحُطَمةَ أيضًا اسمٌ للنَّارِ؛ مِن حيثُ إنَّها تأكُلُ الجِلدَ واللَّحمَ"[1].

إذن هذه الآية ردع وإنذار لكل من انشغل بجمع المال وحرص عليه حتى استولى حبّ المال على قلبه ولُبِّه، حتى صار لفرط تعلقه به يطيل الأمل ويتمنّى تحقيق الأماني البعيدة، وهو يطعن في أعراض الناس وينتقص منهم ويستهزئ بهم ويسخر منهم، ويكأنه خالدٌ في الدنيا لن يفنى ولن يموت، فتأتي هذه الآية لتقول له كلا بكل قوة وزجر بل لتطرحن في النار التي تحطّم وتكسر كل ما يُقذَف فيها كما كان يَقذف أعراض الناس.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الذُلّ في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم.

1. المبادرة بالأعمال الصالحة تجنّبًا للذل وتحقيقًا للعزة والسعادة يوم القيامة.

أسلوب الترغيب والترهيب يبرز في القرآن بشكل جليّ، فهو يعتمد على عُنْصُرَي الثواب والعقاب، والخوف والرجاء، ومن الآيات التي جمعت بين الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[سورة الأنعام:165]. وأيضًا المقابلة بين حال أصحاب الجحيم وأصحاب الجنة هي من باب الترغيب والترهيب، وسورة الغاشية التي نحن بصددها هي خير مثال على هذا الأسلوب، فافتُتِحت السورة بوصف أهل النّار وصورة الذّلّ وحالة الحزن وشدة العذاب، ثم انتقلت إلى مشهد أصحاب الجنة وأنواع النعيم وحالة الرضا التي ينعم بها المؤمنون والمقربون.

[1] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج32 ص285

فمن أهداف هذا الأسلوب، الحثّ على المبادرة في الأعمال الصالحة والتّجافي عن الفواحش والمنكرات، رهبةً من أنْ يكون من المُحزَنين المُعذّبين بنار الجحيم يوم الدين، ورغبةً بالجنان والنعيم المقيم المُدَّخر للمؤمنين من قِبَل ربّ العالمين.

فتصوير حالة الحزن والهوان التي تهيمن على المعرضين الكافرين يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾[سورة عبس:40-42]. وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾، إنّما هو بيان للأخطار والعواقب الوخيمة التي قد تصيب الإنسان في الآخرة إن لم يطع الله والرسول، فإن "القرآن الكريم يسعى إلى التغيير في البناء النفسي للفرد من خلال استعمال استمالات التخويف أو التهديد.. والأمر الجدير بالملاحظة أن الآيات القرآنيّة التي تعمل على إثارة التوتر العاطفي نتيجة استمالات التهديد أو التخويف، تتضمن في الوقت ذاته التوصيات التي يمكن بمقتضاها تجنّب الفرد مصادر هذا التهديد"[1].

وهذا أسلوب من أساليب الإقناع النفسي الذي يوظّفه القرآن لزجر الناس من ارتكاب المحظور، والحث على امتثال المأمور، حتى يفوز بالجنة وينجو من النار التي أعدت لأصحاب الكفر والفجور.

2. إعلام المتكبرين المتغطرسين بأن الجزاء في الآخرة من جنس العمل في الدنيا:

إن لله سبحانه وتعالى سننًا ثابتةً لا تتغير ولا تتبدل، يسري وفقها نظام الحياة، فالعاقل النجيب هو من يتماشى مع هذه السنن ولا يعارضها، ومن أعظم السنن وأهمها سنة: الجزاء من جنس العمل، فإن العمل بهذه السنة دافعٌ للأعمال الصالحة وزاجرٌ عن الأفعال المجحفة الظالمة.

فجزاء العامل يكون مترتبًا على عمله إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًا فشرٌّ، فمن زرع شوكًا فلن يجني العنب، وقد بين القرآن هذه القاعدة في عدة آيات فقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ

[1] مصطفى، معتصم بابكر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ط1. الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. (2003م). ص83.

ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾[سورة النساء:123]. وقال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴿٦٠﴾﴾[سورة الرحمن:60]. وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴿٨﴾﴾[سورة الزلزلة:7-8]. وهذه السّنُّة أيضًا برزت في الآيات التي نحن بصددها وهي قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾[المطففين:34].

فكما أن الكفار كانوا يضحكون من المؤمنين استهزاءً بهم، فسيسقون من الكأس نفسه، سيضحك المؤمنون من حالهم يوم القيامة كما ضحك الكفار عليهم في الدنيا.

فقوله تعالى: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴿٣٦﴾﴾[سورة المطففين:36]. "صَرِيحٌ في أنَّ ضَحِكَ المُؤْمِنِينَ مِنهم جَزاءٌ لِضَحِكِهِمْ مِنهم في الدُّنْيا فَلا بُدَّ مِنَ المُجانَسَةِ والمُشاكَلَةِ حَتْمًا"[1].

[1] الآلوسي: روح المعاني. ج15 ص284

المبحث الرابع: انفعال الفزع

وردت مادة الفزع ست مرات في القرآن الكريم[1]، فيها يصوّر القرآن الفزع والذعر يوم القيامة، حتى يُرهب عباده من العذاب والعقاب فيُقلعوا عن المعاصي ويعيدوا الحقوق إلى أصحابها، ويلتزموا بالفرائض ويحافظوا على النوافل، ليفوزوا بالجنان ويزحزحوا عن الجحيم والنيران، وقبل بيان مشاهد الفزع في جزء عم، ومقاصدها، لا بد من توضيح مفهوم الفزع في اللغة والاصطلاح، وهو ما سيبيّنه الباحث في المطلب الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الفزع في اللغة والاصطلاح.

أولًا: معنى الفزع لغةً:

الفزع هو "الذُّعْرُ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ وَرُبَّمَا جُمِعَ عَلَى (أَفْزَاعٍ)"[2].

وقال ابن منظور: "الفَزَعُ: الفَرَقُ والذُّعْرُ مِنَ الشَّيْءِ"[3].

وقال ابن فارس: "فَزِعَ يَفْزَعُ فَزَعًا، إِذَا ذُعِرَ"[4].

والخلاصة أنّ معنى الفزع يدور حول الذُّعر والفَرَق والخوف، ويختلف الفزع عن الخوف بأن الفزع هو: خوف شديدٌ يطرأ فجأة "عند هجوم غارة أو صوت هدة وما أشبه ذلك"[5].

ثانيًا: معنى الفزع اصطلاحًا:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فهو يتمحور حول الذُّعر والخوف الشديد.

---

[1] انظر: عبد الباقي: المعجم المفهرس. ص658.

[2] الرازي، محمد بن أبي بكر (ت666هـ): مختار الصحاح. تحقيق: محمد، يوسف. ط5. بيروت: المكتبة العصرية. (1420هـ-1999م). ص239.

[3] ابن منظور: لسان العرب. ج8 ص251.

[4] ابن فارس: مقاييس اللغة. ج4 ص501.

[5] العسكري، أبو هلال: معجم الفروق اللغوية، ص404.

فيعرّف الراغب الأصفهانيُّ الفزع بأنه: "انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فَزِعْتُ من الله، كما يقال: خفت منه. وقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾[سورة الأنبياء:103]، فهو الفزع من دخول النار."[1]

ويبيّن ابن عاشور أن الفزع: "نَفْرَةُ النَّفْسِ وانْقِباضُها مِمّا تَتَوَقَّعُ أنْ يَحْصُلَ لَها مِنَ الألَمِ وهو قَرِيبٌ مِنَ الجَزَعِ"[2].

والحاصل أن: الفزع: هو انزعاجٌ في القلب ونفورٌ في النّفس ناجمٌ عن خوفٍ شديدٍ مفاجئٍ.

المطلب الثّاني: مشهد انفعال الفزع في جزء عمّ.

المشهد الأول: قلوبٌ خائفةٌ وجِلَة وأبصارٌ ذليلةٌ منكسرةٌ

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠﴾[سورة النازعات:6-10].

عندما تبدأ سلسلة أهوال يوم القيامة، فتضطرب الأرض وتُزلْزل الجبال وتَنشق السماء وتَنتثر الكواكب وتُفجَّر البحار وتُبعثَر القبور، فإذا بالكفار المنكرين للبعث والجاحدين للنشور، يدركون حقيقة الآخرة بضخامتها وهولها، فترتعد فرائصهم وتضطرب قلوبهم وترتعش نفوسهم وتخشع أبصارهم.

فقلوب الكافرين واجفةٌ أي: "شَدِيدَةُ الِاضْطِرابِ مِنَ الوَجِيفِ وهي صِفَةُ القُلُوبِ"[3].

وأصل مادة (الوَجْف) معناها السرعة وشدة الاضطراب[4] أي إنّ هذه القلوبَ تَخْفِقُ بسرعة خياليّة تكاد تخلع الصدور فتخرج منها لشدة وجيفها واضطرابها فزعًا من ذلك اليوم الرهيب.

---

[1] الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص135.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج17 ص156.

[3] البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج5 ص283.

[4] يُنظَر: الأزهري: تهذيب اللغة. ج11 ص145. ابن منظور: لسان العرب. ج9 ص352

كما أن الصيغة الاسميّة لكلمة (واجفة) تدل على الثبات والاستمرار[1]، فهذه الحالة من الفزع وشدة اضطراب القلب وسرعة الخفقان، إنما هي ملازمة لأرباب تلك القلوب لا تنفك عنهم طيلة اليوم الآخر، لا تسكن قلوبهم ولا تطمئن أفئدتهم.

و﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩﴾[سورة النازعات:9] أي حزينة ذليلة "وأضاف الأبصار إلى القلوب؛ لأنّه أراد من وجيف القلوب شدة الخوف الواقع بأربابها فهي كناية عنهم"[2].

فحال القلوب والأبصار في ذلك اليوم أنّها "شديدة الاضطراب، بادية الذلّ، يجتمع عليها الخوف والانكسار، والرجفة، والانهيار. وهذا هو الذي يقع يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة"[3].

المشهد الثاني: هول الساعة يُشعر الكافر أنّه لم يمكث في الدنيا إلّا ساعة.

قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾[النازعات:42-46].

أكثَرَ المشركون من سؤال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن وقت قيام الساعة عِنادًا واستهزاءً، حتى إنّهم كانوا يستعجلون وقوعها قال تعالى: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾[سورة الشورى:18].

فجاء الرد بأسلوب الحكيم[4]، فبيّن الباري أنّ منتهى علم قيام الساعة لا يعلمه إلا هو سبحانه، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم بُعث ليُنذِر النّاس ويحذّرهم من هَوْلها وعذابها، لا ليخبرهم بميعادها، فالمؤمن يستعدّ

[1] يُنظَر: الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص67

[2] محمد عبده: تفسير القرآن الكريم. ص11.

[3] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3813.

[4] أسلوب الحكيم: هو تلقي المخاطب بغير ما يترقّبهُ، إما بترك سُؤاله: والإجابة عن سؤال لم يسأله. وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى. انظر: الهاشمي، أحمد (ت1362ه): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية. ص319.

للقائها، وأمّا المعاندون المستهزئون فعندما يرَوْن ضخامة هولها وعِظَمَ وقعها، فيُهيْمِنُ عليهم الخوف حتى ينسيَهم كم لبثوا في الأرض عدد سنين، ويحسبون أنّهم لم يلبثوا إلا عشية يوم أو ضحى تلك العشية.

"يقول جلّ ثناؤه: كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة، يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحى تلك العشية"[1].

إذن حال المكذّبين بيوم الدين كأنّهم "يَوْمَ يُشاهِدُونَ وُقُوعَها، مِن عَظِيمِ هَوْلِها، لَمْ يَلْبَثُوا في الدُّنْيا أوْ في القُبُورِ إلّا ساعَةً مِن نَهارٍ، بِمِقْدارِ عَشِيَّةٍ أوْ ضُحاها. وإضافَةُ الضُّحى إلى العَشِيَّةِ، لِما بَيْنَهُما مِنَ المُلابَسَةِ؛ لِاجْتِماعِهِما في يَوْمٍ واحِدٍ."[2]

فهذه هي حقيقة الحياة الدنيا التي يتقاتل النّاس من أجلها، ويضرب بعضهم رقاب بعض نَيْلًا لزُخرفها ومتاعها، وإذا بها تنطوي وتتكمش بأعمارها وأوقاتها وأحداثها وزينتها، عند رؤية هول الساعة، فتظهر في خَلَد أصحابها كأنّها عشيةٌ أو ضحاها، يومٌ أو بعض يومٍ.

فكيف بإنسان عاقلٍ مبصرٍ يفرّط بالآخرة الباقية ويبيعها بدنيا دنيّة فانية زائلة، يظنّ صاحبها بعد مفارقتها أنّه لم يلبث فيها سوى عشية أو ضحاها.

---

[1] الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. ج24 ص214.

[2] القاسمي، جمال الدين (ت 1332هـ): محاسن التأويل. 9مج. تحقيق: باسل. محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1418هـ). ج9 ص403.

المشهد الثالث: لكل امرئ يوم القيامة أمرٌ عظيمٌ يُهمُّه ويَشغله عن النظر في أمر غيره

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[سورة عبس:33-37].

افتتاح هذا المقطع بلفظ الصاخة التي تخرق صماخ الآذان وتزلّزل الأركان، يوحي إلى حالة الفزع والفَرَق التي يكابدها النّاس في ذلك الهول الرعيب فإنّ "الصاخة لفظ ذو جَرْس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، ويشق الهواء شقًّا، حتى يصل إلى الأذن صاخًا ملحًا... وهو يمهّد بهذا الجرس المزعج للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به: (من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أولئك الذين تربطهم به روابط لا تنفصم؛ ولكن هذه الصاخة تشرخ الروابط شرخًا وتشقها شقًّا"[1].

والفرار للوَجِل مذموم ممجوج، فكيف إذا كان من أحبِّ النّاس إليك؟ لا شك أنّه سيكون أشدّ تهمة واستصغارًا، إلا أنّ الإنسان من شدة الذُّعر والفَزَع في ذلك الهول العظيم والخطب الجليل، يكاد يفقد رشده حتى يفرّ هاربًا من أقرب النّاس منه وأحبهم إليه.

قال ابن عاشور: "أَبْلَغُ ما يُفِيدُ هَوْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ بِحَيْثُ لا يَتْرُكُ هَوْلُهُ لِلْمَرْءِ بَقِيَّةً مِن رُشْدِهِ، فَإنَّ نَفْسَ الفِرارِ لِلْخائِفِ مَسَبَّةٌ فِيما تَعارَفُوهُ لِدِلالَتِهِ عَلى جُبْنِ صاحِبِهِ وهم يَتَعَيَّرُونَ بِالجُبْنِ وكَوْنَهُ يَتْرُكُ أعَزَّ الأعِزَّةِ عَلَيْهِ مَسَبَّةٌ عُظْمى"[2].

"عن عائشة. قَالَت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يقول "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا" قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعا، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صلى الله عليه وسلم "يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض".[3]

---

[1] سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن. ص73.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص136.

[3] مسلم: صحيح مسلم. ج4 ص194، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة. رقم: 2859.

فأمّ المؤمنين عائشة عندما سمعت أنّ الرجال والنساء سيحشرون عراةً سألت متعجبة: هل ينظر بعضهم إلى بعض، فيبيّن لها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ شِدّةَ الهول وحالة الخوف الشديد والفزع، تمنعهم من النظر إلى عورات بعضهم البعض، فلكلّ إنسان في ذلك اليوم شأنٌ يُشغِلُه.

"والهول في هذا المشهد هول نفسيّ بحت، يُفزِعُ النّفس ويفصلها عن محيطها. ويستبدّ بها استبدادًا. فلكل نفسه وشأنه، ولديه الكفاية من الهم الخاص به، الذي لا يدع له فضلة من وعي أو جهد: (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه).. والظلال الكامنة وراء هذه العبارة وفي طياتها ظلال عميقة سحيقة. فما يوجد أخصر ولا أشمل من هذا التعبير، لتصوير الهم الذي يشغل الحس والضمير: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾!"[1].

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾[سورة عبس:37]. في هذا اليوم كل إنسان منشغل بنفسه لا يلتفت إلى غيره، بل لا يهتمّ بأقرب الناس إليهم، وذِكْرُ هذه الآية بعد ذكر فرار المرء من أقربائه الخمسة والذي يقتضي الفرار من كل قريب غيرهم من بابٍ أولى، فيه زيادة في التهويل والترهيب من ذلك اليوم العصيب.

وممّا يزيد في تصوير هول ذلك اليوم وعظمته وشِدّته، تنوين كلمة (شأنٌ) وتقديم الخبر في قوله: (لِكُلِّ امْرِئٍ) على المبتدأِ؛ ليَتأتَّى تَنكيرُ (شَأْنٌ) وهي المبتدأ المؤخر، وهذه الأساليب البلاغية من تنكير كلمة (شأن) وتنوينها وتقديم الخبر عليها، تزيد ذلك اليوم تعظيمًا وتخويفًا.[2]

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن. ص3834

[2] يُنظَر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص136

المشهد الرابع: القارعةُ تقرعُ القلوبَ وتجعلُ أصحابَها كالفراشِ المبثوثِ

قال تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾[سورة القارعة:1-5].

سُمّي يوم القيامة بالقارعة؛ لأنّه يقرع القلوب ويزلّزل النفوس من شِدّة الهَوْل، حتى يضطرب الإنسان، فهو لا يملك لنفسه هدفًا، ولا يدرك لها وجهة "هذا هو المشهد الأول للقارعة؛ مشهد تطير له القلوب شعاعا، وترجف منه الأوصال ارتجافا. ويحس السامع كأن كل شيء يتشبث به في الأرض قد طار حوله هباء!"[1].

أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾[القارعة:1-3]. جاء للتفخيم والتهويل والتخويف، ثمّ يُشبّه الباري سبحانه وتعالى النّاس يوم القيامة، بأنّهم يكونون منتشرين كالفراش من هول المطلع، فهم حَيَارى لا يعلمون أين يتّجهون، هائمون على وجوههم لا يدرون ما يَصنعون، قال الواحديُّ: "الفراش ما تراه يتهافت في النار، شبه الناس في وقت البعث بالفراش، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض، والفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة، فدل على أنهم إذا بعثوا فزعوا، فاختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة"[2] وهذه الآية تذكّرنا بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧﴾[سورة القمر:7].

فتشّبيه النّاس يوم القارعة بالفراش المبثوث "هو الإشارَةُ إلى الحَيْرَةِ والِاضْطِرابِ مِن هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ"[3] كما أن "حياة الفراشة من بدئها إلى نهايتها تمثّل حياة الإنسان من حال كونه نطفة إلى أن يولد، وينمو، ويقطع مسيرته في الحياة الدنيا، ثم إلى أن يموت، ثم يبعث في هيئة فراشة، كانت بيضة، ثم دودة، ثم عذراء ملففة في أكفان من الشرنقة، ثم تنشق عنها الشرنقة، فإذا هي فراشة!"[4].

---

[1] سيّد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3961.

[2] الواحدي، علي بن أحمد (ت: 468): الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد، عادل. بيروت: الكتب العلميّة. (1415هـ-1994م). ط1. ج4 ص546

[3] الآلوسي: روح المعاني. ج15 ص448.

[4] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن. ج14 ص551

إذن الناس في ذلك اليوم طائشون كالفراش منتشرون في الأرض لا قبلة لهم ولا وِجهة، ضعفاء كضعف الفراش، يتطايرون إلى النار كما يتطاير الفراش إليها، معظمهم يقحمها وقليل ممن رحمهم الله ووفقهم لهداه هم الذين ينجون منها، نسأل الله أن نكون منهم.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال الفزع في مشاهد يوم القيامة

1. **بيان انفعال الفزع عند الخاسرين في الآخرة، يدعو إلى الإعراض عن المعاصي والإقبال على الطاعات حتى يأمن يوم القيامة.**

إنّ للخوف فوائدَ عديدةً فهو يكبح الشهوات ويقمع الجوارح عن المعاصي والمحظورات، ويوقظ القلب؛ فينزع منه المحرَّمَ من حُبّ الشهوات وإشباع الغرائز والملذّات.

ويورث العِفّة والورع والتقوى والحذر، وينبّه الغافل فيرشده إلى التوبة والأوبة، فعندما يصور التعبير القرآني حالة العاصين بأن: قلوبهم واجفة منزعجة من هول ما تجد وترى، وأما أبصارهم فهي خاشعة ذليلة متحسّرة، من شدة الخوف والفزع يظنون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية أو ضحاها، فهم كالفراش المبثوث يخرجون من قبورهم خائفين مضطربين حائرين، لا يعلمون إلى أين يتجهون من شدة الحَيرة والخوف.

وقد بيّن حُجَّةُ الإسلام الغزاليُّ أنّه "لا تنقمع الشهوة بشيء كما تُقمَع بنار الخوف، فالخوف هو النّار المحرقة للشهوات فإنّ فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكفّ عن المعاصي ويحثّ على الطاعات"[1].

والخوف المعتدل هو المقصود؛ لأنّ التفريط فيه يدعو إلى الغفلة والجرأة على المعاصي، كما أنّ الإفراط فيه يُفضي إلى اليأس والقنوط، فالخوف المحمود هو الذي يحجزك عن معصية الله ويثبّتك في الاستقامة على طاعة الله.

[1] الغزالي: إحياء علوم الدين. ج4 ص160.

وقد أكثر الباري سبحانه وتعالى من ذكر النّار وأهوال القيامة؛ ليُنَمّيَ في المؤمنين جانب الخشية من الله، ويحملهم على المسارعة في امتثال أوامر الله واجتناب ما يغضب الله، قال ابن رجب الحنبلي: "فإن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة عَلَى عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدّها لمن عصاه ليتّقوه بصالح الأعمال"[1].

ولا شكّ أنّ كلّ إنسان تُسوّل له نفسُه فعلَ المعاصي والتقاعس عن العبادات، فقد ورد عن أبي بكر الصديق أنّه عندما استخلف عمرَ رضي الله عنهما أوصاه فقال: "إنَّ أوَّل ما أحذِّرُكَ نفسك التي بين جنبيك."[2]

علاوة على أنّ الشيطان أخذ عهدًا على نفسه أنْ يضل النّاس ويغويهم بكل سبيل وطريق، قال تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[سورة الأعراف:16-17].

قال وهبة الزحيلي: "ولما أُنظر إبليس إلى يوم البعث واستوثق بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد، فقال: {فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي}. أي كما أغويتني أو أضللتني. لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية آدم على طريق الحق وسبيل النجاة والسعادة، ولأضلنهم عنها، لئلا يعبدوك ولا يوحدوك، بسبب إضلالك إياي، وذلك بأن أزيّن لهم طرقا أخرى كلها ضلال وانحراف"[3].

فهذان العَدُوّان –النفس والشيطان– يُحتّمان عليك المجاهدة والمصابرة، ومن الأمور التي تعينك على التغلّب عليهما وإخضاعهما؛ تصوير الفزع والذعر الذي يصيب العاصي الكافر، يوم الصاخة والطامة والقارعة، ممّا

---

[1] ابن رجب، عبد الرحمن (ت 795هـ): التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار. تحقيق: طلعت، الحلواني. ط1. دار الفاروق الحديثة. ص93.

[2] ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ): جامع العلوم والحكم.3مج. تحقيق: الأحمدي، محمد. ط2. دار السلام. (1424هـ-2004م). ج2 ص584.

[3] الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت1932هـ): في العقيدة والشريعة والمنهج. 32مج. ط1. دمشق: دار الفكر. (1411هـ-1991م). ج8 ص156.

يُلجئه إلى الفرار والتخلّي عن أعزّ النّاس إليه، وأقربهم منه؛ أُمّه وأبيه وأخيه وزوجه وبنيه، فكل إنسان منشغل بمصيره، مُرتَهن بكسبه، وَجلٌ من عاقبة أمره.

فهذا التعبير القرآني الذي يصوّر تلك الحالة من الذعر والفزع، يُرشد أولي الألباب والنُّهى إلى الصبر والتَجلُّدِ وتحمّل القبضِ على الجمر، حتى يملكَ نَفْسَه، فيحظى بالنصر وينعم بالظَفَرِ، عندئذ يَسْهُل عليه الإحجام عن المعاصي، والالتزام بالعبادات، فهو يعلم أنّه بمخالفة النفس وشهواتها، يُحقق الأمن عند فزع الناس يوم القيامة.

2. **تحقيق الخوف من الله في الدنيا حتى يَأمن عذابه يوم القيامة.**

أمرنا الله سبحانه وتعالى بالخوف منه فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ١٧٥﴾[سورة آل عمران:175]. وذلك لأنّ من لوازم الإيمان بالله الخوفَ منه، وإيثار الخوف منه على كل ما يُخاف دونه، فنحن نتعبّد الله بالخوف منه، وقد وعد الله جلّ وعلا من يخافه في الدنيا؛ فَيَحْجِزه هذا الخوف عن محارم الله؛ أنّه سيؤمّنه من الخوف يوم القيامة، وسيدخله الجنّة دار السلام بسلام، قال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ٣٤﴾[ق:32-34].

قال السعدي: "خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته ولازمَ على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة، خشية الله في الغيب والشهادة"[1].

[1] السعدي: تيسير الكريم الرحمن. ص806.

فمن استحضر فزع الناس وفَرَقهم يوم الصاخة، التي يُنبئ اسمها عن هولها، فهي تصخُّ الآذان فتورثها الصمم، "تَقُولُ العَرَبُ: صَخَّتْهُمُ الصّاخَّةُ ونابَتْهُمُ النّائِبَةُ، أيِ الدّاهِيَةُ"[1]، ثمّ حمَله استحضار هذا الموقف الرعيب العصيب على الاستقامة، فاتقى الله في السرّ والعلن، وراقب الله، وجعل مخافته نُصب عينيه، فأدى الفرائض، وتناءى عن الرذائل، فإنّ الله سيؤمّنه من الخوف يوم القيامة.

3. **تخفيف وطأة المصائب والابتلاءات على المؤمن.**

مهما يُصاب المرء في هذه الدنيا من مصائب ومهما يكابد من متاعب، فإنّ ذلك لن يحمله بحال من الأحوال إلى الفرار والهروب من أهله وأعزّ النّاس إليه، فإنّ استحضار مشهد الفزع والذُّعر الذي يكتنف النّاس يوم القيامة؛ فيدفعهم نحو الفرار من أهلهم وأقرب الناس إليهم، فهذا التصور سيخفف من وطأة الابتلاء، ويواسي المُصاب فيربّت على كتفه ويمسح جرحه ويعينه على الصبر والرضا؛ لأنّه مهما جزع وفزع في هذه الدنيا فلن يصلَ به الحال إلى الفرار والتّبري من الأهل والأخ والولد.

[1] أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ): البحر المحيط في التفسير. تحقيق: جميل، صدقي محمد. 10 مج. بيروت: دار الفكر. (1420هـ). ج10 ص410.

المبحث الخامس: انفعال اليأس

وردت مادة اليأس ثلاث عشرة (13) مرّة في القرآن الكريم[1] واليأسُ من رحمة الله معصية، بل كبيرة من الكبائر، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾[سورة يوسف:87]. وهذه الآية "دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُنُوطَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ الْيَأْسُ".

أمّا إذا كان اليأس ممّا ملكت أيدي النّاس، فهو مطلوب محمود؛ لأنّه من سِمات العابدين المخلِصين، وقبل بيان مشاهد اليأس في جزء عم، ومقاصدها، لا بد من توضيح مفهوم اليأس في اللغة والاصطلاح، وهو ما سيبيّنه الباحث في المطلب الآتي:

المطلب الأوّل: مفهوم اليأس في اللّغة والاصطلاح

أولًا: معنى اليأس لغة:

اليأس مصدر من يئسَ ويأتي بمعنى القنوط وقطع الأمل، قال ابن فارس: "(يَأَسَ) الْيَاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالسِّينُ. كَلِمَتَانِ: إِحْدَاهُمَا الْيَأْسُ: قَطْعُ الرَّجَاءِ"[2] إذن يبيّن ابن فارس أنّ لليأس معنين وهما: قطع الرجاء، والعلم.

إلّا أنّ الأصل في معنى اليأس أنّه القنوط وانقطاع الرجاء، وقد أكّد ذلك الراغب الأصفهاني حيث نفى أنّ من معاني اليأس العلم فقال: "ولم يرد أنّ اليَأْسَ موضوع في كلامهم للعلم"[3] فيكون معنى الآية ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي أفلم يقنط الذين آمنوا من إيمان من نفى الله عنهم الإيمان، قال القرطبي: "المعنى أفلم ينقطع رجاء المؤمنين من إيمان هؤلاء الكفّار لعلمهم أنّ الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم"[4].

---

[1] يُنظر: عبد الباقي: محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص769.

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة. ج6 ص153.

[3] الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص892.

[4] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج9 ص320.

وقال ابن منظور: "اليَأْس: القُنوط، وَقِيلَ: اليَأْس نَقِيضُ الرَّجَاءِ"[1].

وقال الزبيدي في تاج العروس: "اليَأْسُ، مُحَرّكة: القُنُوطُ، وَهُوَ ضِدٌّ الرَّجاءِ. أَو هُوَ قَطْعُ الأَمَلِ عَن الشَّيْءِ"[2].

وجاء في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: "يئِس من الأمر: قنط منه، انقطع أملُه منه وانتفى طمعُه فيه"[3].

والحاصل أنّ معنى اليأس يدور حول القنوط، وانقطاع الرجاء.

ثانيًا: معنى اليأس اصطلاحًا:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي لليأس عن معناه اللّغوي فهو نقيض الرجاء وضدّ الأمل قال المناويّ: "اليأس: القطع بأن الشيء لا يكون، وهو ضدّ الرجاء."[4]

وقال الراغب: "اليَأْسُ: انتفاءُ الطّمعِ"[5].

وقال الكفوي: "الْيَأْس: هُوَ انْقِطَاع الرَّجَاء"[6].

وقال ابن الجوزي: "الْيَأْس: الْقطع على أَن الْمَطْلُوب لَا يتَحَصَّل لتحقيق فَوَاته"[7].

والخلاصة أن اليأس هو: انقطاع الرجاء وانتفاء الطمع كون المطلوب متعذّر من التحقيق ومنتفٍ من التحصيل.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب. ج6 ص259.

[2] الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. ج17 ص49.

[3] عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة. ج3 ص505.

[4] المناوي: التوقيف على مهمات التعريف. ص346.

[5] الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص892.

[6] الكفوي: الكليات. ص985.

[7] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ): نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: كاظم، محمد. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة. (1404هـ-1984م). ص133.

واليأس عند علماء النفس هو: "شعور الفرد بعدم إمكان الحصول على ما يريد، وصعوبة الوصول إلى الهدف، بسبب ما يدركه من عوائق وصعوبات تحول دون ذلك، ويستمر لديه الاعتقاد بذلك، مما يجعله يستسلم إلى العجز وفقدان الدافعية إلى العمل."[1]

المطلب الثّاني: مشاهد انفعال اليأس في جزء عمّ.

المشهد الأول: في يوم الفصل لن يزداد الكافر إلا عذابًا فوق العذاب

قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابٗا ٣٠﴾[سورة النبأ:30].

تأتي هذه الآية بعد بيان جزاء الكافرين يومَ القيامة، فإنّ جهنم سترصُدُ كلَّ الذين طَغَوْا وبغَوْا في الدنيا وعاثوا في الأرض مفسدين، وسيمكثون فيها حِقَبًا عديدة ودهورًا مديدة لا تنتهي ولا تنقضي، لا يذوقون فيها إلا صديدَ أهل النّار والماء الحارّ الذي يُقطّع الأمعاء، وهذا العذاب جزاءٌ موافقٌ لمعاصيهم وجرائمهم التي اقترفوها في الدنيا، فقد كانوا يُنكِرون البعثَ والحسابَ ويكذّبون بالآيات، وينكرون أنها من عند الله، وكلُّ أعمال العباد مكتوبةٌ عند الله، لا يَضلُّ ربُنا ولا يَنسى، ثمّ تأتي الآية التي نحن بصددها مدويةً تُرجِفُ القلوبَ، وتُقِضُ المضاجعَ، وترتعد لها الفرائص وتقول للكافرين: ذوقوا هذا العذاب، فلن نزيدكم فوق هذا العذاب إلا عذابًا، فيهيّمن عليهم الإحباط ويسيّطر عليهم اليأس ويغشاهم القنوط.

قال الفخر الرازي: "وَقَوْلُهُ: فَذُوقُوا وَالْفَاءُ لِلْجَزَاءِ، فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالذَّوْقِ مُعَلَّلٌ بِمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ مِنْ قَبَائِحِ أَفْعَالِهِمْ، فَهَذَا الْفَاءُ أَفَادَ عَيْنَ فَائِدَةِ قَوْلِهِ: جَزاءً وِفاقاً."[2] إذن الفاء في قوله تعالى: (فذوقوا) إنما هي للجزاء على كفرهم وجحودهم وغيرها من أفعالهم القبيحة وأقوالهم المشينة.

[1] مقال من الإنترنت للكاتب بشير معمرية، بعنوان: "تصميم مقياس لليأس للراشدين وتقنينه على البيئة الجزائرية"، انظر: https://2u.pw/9OnFaWV

[2] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج31 ص20

وهذه الآية غاية في الشدة فقد دلّت على المبالغة في العذاب من عدة وجوه وهي كالآتي:

الوجه الأوّل: التعبير بكلمة لن التي تفيد التأكيد في النفي للمستقبل، أي إنّ ترك الزيادة من العذاب هو "كالمُحالِ الَّذي لا يدخُلُ تحتَ الصِّحَّةِ"[1] فيصير المعنى: سنزيدكم عذابًا مؤبدًا "وهو معنى الخلودِ في العذابِ، وفي هذا الأسلوبِ ابتِداءٌ مُطْمِعٌ بانتهاءٍ مُؤْيِسٍ، وذلك أشدُّ حُزنًا وغمًّا بما يُوهِمُهم أنَّ ما أُلقُوا فيه هو منتهى التَّعذيبِ، حتَّى إذا ولَجَ ذلك أسماعَهم فحَزِنوا له، أُتْبِعَ بأنَّهم يَنتَظِرُهم عذابٌ آخَرُ أشَدُّ، فكان ذلك حُزنًا فوقَ حُزنٍ، فهذا مِنوالُ هذا النَّظمِ، وهو مُؤذِنٌ بشدَّةِ الغضبِ"[2].

الوجه الثاني: أسلوب الالتفات[3]: تحويل الخطاب من الغائب إلى المخاطب في هذا السياق يُنبئ عن زيادة في التهديد ومبالغة في التشديد والتقريع، وذلك أنه تعالى لما تكلّم عن مصير الطاغين وأنواع العذاب الذي سيذوقونه عبّر بالضمير الغائب فقال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ٢٣﴾[سورة النبأ:23]. حتى قوله ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ٢٩﴾[سورة النبأ:29]، ثم التفت إلى مخاطبتهم بقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾[سورة النبأ:30]. واستخدام هذا الأسلوب فيه " دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانبا جنى عليه، تم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجها له بالتوبيخ وإلزام الحجة"[4].

الوجه الثالث: بعد ان بيّن الباري سبحانه وتعالى مصير الكافرين وعدد أنواع العقاب الذي سيذوقونه، بيّن بأن هذا الجزاء موافق لأعمالهم القبيحة، ثمّ عدد الأسباب التي أدخلتهم إلى النار، ثمّ قال: فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا " فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَفْتَى وَأَقَامَ الدَّلَائِلَ، ثُمَّ أَعَادَ تِلْكَ الْفَتْوَى بِعَيْنِهَا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي التَّعْذِيبِ"[5].

---

[1] الزمخشري: الكشاف. ج4 ص690

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص42-43

[3] الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. القزويني، محمد بن عند الرحمن (ت: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: عبد المنعم، محمد. بيروت: دار الجيل. ط3. ج2 ص86.

[4] الزمخشري: المصدر السابق. ج4 ص701

[5] الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج31 ص20

إذن ما تضمنته هذه الآية من التقريع والتوبيخ، الذي يزيد في الإهانة والتحقير، إنما يدل على شدة يوم الفصل، وغضبِ الخالق الرحمن، وتأييس للكافرين من الرحمة والغفران.

المشهد الثاني: مصير الهالكين في الآخرة يدفعهم إلى الدعوة على أنفسهم بالهلاك يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾[الانشقاق:10-12].

تبيّن لنا هذه السورة أنّ الناس سينقسمون إلى قسمين يوم القيامة، فأمّا الصالحون المؤمنون فيأخذون كتابهم بيمينهم وينقلبون إلى أهلهم مسرورين فرحين، وأخذ الكتاب باليمين يدلّ على الخير واليُمن والاستبشار.

أمّا الطغاة الكفرة، فإنّهم يأخذون كتابهم بشمالهم، من وراء ظهرهم جمعًا بين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥﴾[سورة الحاقة:25]. وبين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠﴾[سورة الانشقاق:10]، وأَخْذُ الكتاب بهذه الصورة يدلّ على الخِزي والخَوَرِ اللذين يعتريان النفسَ، فَيُوَلّي للكتاب ظهرَه؛ لأنّه يعلم أنّه ديوان المعاصي وسجين المخازي، فيُصاب بحالة اليأس والخذلان، كونه يدرك أنّ ما ينتظره شرٌّ مما مرّ عليه "فيدعو ثبورًا، وينادي الهلاك لينقذه ممّا هو مُقدِم عليه من الشقاء. وحين يدعو الإنسان بالهلاك لينجو به، يكون في الموقف الذي ليس بعده ما يتقيه. حتى ليصبح الهلاك أقصى أمانيه."[1].

فأصحاب الجرائم والكبائر، والشاذون عن دين الله وعن فطرة الله التي فطر الله الناس عليها، عندما تُكشف لهم سوابق أعمالهم فإذا بوجوههم قد عبست وتجهّمت واكفهرت، وتمنَّوْا أنّها لو لم تُعرض، حينئذٍ يدعون على أنفسهم بالثبور "والثُّبُورُ: الهَلاكُ وسُوءُ الحالِ وهي كَلِمَةٌ يَقُولُها مَن وقَعَ في شَقاءٍ وتَعْسٍ. والنِّداءُ في مِثْلِ هَذِهِ الكَلِماتِ مُسْتَعْمَلٌ في التَّحَسُّرِ والتَّوَجُّعِ"[2].

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن. ج6 ص3867.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير. ج30 ص224.

فاليأس من حصول أي خير قادم يحمل المرء على أن يدعو بالهلاك والثبور على نفسه في ذلك اليوم.

المشهد الثالث: انشغال كلُّ امرئ بنفسه

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾[سورة الانفطار:17-19].

يعظّم القرآن من اليوم الآخر ويفخّم من شأنه في كثير من الآيات، وفي هذه السورة مثال واضح لهذا التفخيم حيث يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾[سورة الانفطار:17-18]. "يعني أنّ أمر يوم الدين بحيث لا تُدْرِكُ درايةُ دارٍ كُنْهَهُ في الهول والشدّة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل"[1] فتكرار الاستفهام عن يوم الدين يدلّ على هوله وفظاعته وزلزلته.

وفي هذا اليوم لا يملك الإنسان لنفسه جلب نفع أو دفع ضُرٍّ؛ فهو آيسٌ ممّا في أيدي الناس لا يرجو منهم شفاعةً ولا يطلب منهم مواساةً، ففي ذلك اليوم "لا يجد المرء ما يعوّل عليه سوى ما قدمت يداه، يجفوه الأولياء ويخذله الشفعاء ويتبرأ منه الأقرباء (يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا) فلا تحمل عنها ذنبًا ولا تدفع عنها عتبًا (والأمر يومئذ لله) وحده، فلا شفيع ولا نصير ولا وزير ولا مشير وهو الذي وعد وأوعد على لسان رسله وهو أصدق قائل في قوله، وأعدل فاعل في فعله"[2].

ففي هذا اليوم كل إنسان مشغول بنفسه فلا يغني أحدٌ عن أحدٍ شيئًا، ولا يُنجد أحدٌ أحدًا، فالأمر كله بيد الله، وكون الإنسان لا يملك لنفسه شيئًا فهذا هو "العجز الشامل. وهو الشلل الكامل. وهو الانحسار والانكماش والانفصال بين النفوس المشغولة بهمها وحملها عن كل من تعرف من النفوس! (والأمر يومئذ لله).. يتفرد

[1] الزمخشري، محمود بن عمرو (ت538 هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. ج4 ص717.
[2] محمد عبده: تفسير القرآن الكريم. ص38.

به سبحانه. وهو المتفرد بالأمر في الدنيا والآخرة. ولكن في هذا اليوم –يوم الدين– تتجلى هذه الحقيقة التي قد يغفل عنها في الدنيا الغافلون المغرورون. فلا يعود بها خفاء، ولا تغيب عن مخدوع ولا مفتون!"[1].

والخلاصة أن المُلْك والسلطان يومئذ لله وحده، ففيه تضمحلّ الرياسات وتندثر المناصب، فييأس الإنسان من كل ما كان يشفع له في الدنيا؛ من مال أو ولد أو منصب أو سلطان، ويتيقّن أنّه لا ينفعه إلا أعمال البرّ والطاعة.

المشهد الرابع:

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾[سورة الهمزة:8-9].

وُصِفَتْ نار الله في هذه السورة بثلاث صفات وهي كالآتي:

1. تطّلع على الأفئدة، أي تعلوها وتغشاها بَحَرّها الشديد، وخُصَّ الفؤاد بالذكر، لأنّه ألطف ما في البدن وأكثره تألمًا، أو لأنّه محلُّ العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال المشينة.[2]
2. إنّها عليهم مُطبَقَة، أي أبوابها مغلقة على أهلها، لا يجدون ملجَأً ولا مخرجًا[3] والتعبير بأنّها عليهم مؤصدة فيه من المبالغة ما فيه؛ لأنّه لو شاء جعل ذلك الموضع من النار من غير أبواب، إلا أنّه يذكّرهم بصفة الباب حتى يذكّرهم بالخروج، فيزدادون حسرةً وألمًا[4]، وقال: "عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، ولم يُقُلْ: (مُؤصَدةٌ عليهم)؛ لأنَّ قَولَه: عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ يُفيدُ أنَّ المقصودَ أوَّلًا كونُهم بهذه الحالةِ، وقَولَه: (مُؤصَدةٌ عليهم) لا يفيدُ هذا المعنى بالقَصْدِ الأوَّلِ"[5].

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن. ج6 ص3852.

[2] يُنظَر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج5 ص337

[3] يُنظَر: الزحيلي: التفسير المنير. ج30 ص400

[4] يُنظَر: الفخر الرازي: مفاتيح الغيب. ج32 ص286

[5] الفخر الرازي: المرجع السابق. ج32 ص286

3. في عَمَدٍ مُمَدّدة، أي مسدودة بأعمدة ممدودة في النار، وهذا التعبير يؤكّد حالة اليأس التي يعيشها أهل النار، يقول الزمخشري عن هذا التعبير بأنّه: "يُؤكِّدُ يَأسَهُم مِن الخُروجِ وتَيَقُّنَهم بحَبسِ الأبَدِ، فتُؤصَدُ عليهم الأبوابُ، وتُمدَّدُ على الأبوابِ العُمُدُ؛ استِيثاقًا في استِيثاقٍ"[1].

إذن هذا الإغلاق المحكم لأبواب النار بأعمدة ممدّدة ملتهبة، ومُكثهم في جحيمٍ لا تنطفئ نارُها ولا تَخفُّ حرارُتها، ليقطع أملَ الكافرين من الخروج منها، ويُشعل جذوةَ الحسرة في قلوبهم، ويزيدهم يأسًا وقنوطًا.

المطلب الثالث: من مقاصد تصوير انفعال اليأس في مشاهد يوم القيامة

1. تهذيب النفس في الدنيا حتى لا يدعو عليها بالهلاك يوم القيامة.

النفس البشريّة بطبيعتها تدعو صاحبَها إلى تحصيل شهواتها وإشباع غرائزها، ضاربةً بعواقب الأمور عرض الحائط، فعلماء التزكية عندما يتحدّثون عن النفس، إنّما يقصدون الأصل الجامع للشهوات والشبهات والمعاصي، فقد عرّف الإمام الغزاليّ النفس بأنّها: "المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان"[2].

وحال النفس كحال الطفل الذي يطلب من أبويه شيئًا مضرًا ويلحُّ على ذلك إلحاحًا شديدًا، فَأَسْمَى أمانيه تحقيق مطلبه، دون الالتفات إلى المفسدة الكبيرة المترتّبة على تحقيق هذا المطلب.

وقد صَدَقَ البوصيريّ عندما قال:

والنفسُ كالطفلِ إنْ تُهْمِلْهُ شبَّ على حـبِّ الرّضـــــاعِ وإنْ تفطِمْـهُ ينفطِمِ[3]

قال القشيريّ في رسالته: "واعلم أَن أصل المجاهدة وملاكها فَطْمُ النفس عَنِ المألوفات وحملها عَلَى خلاف هواها"[4].

---

[1] الزمخشري: الكشاف. ج4 ص796

[2] الغزالي: إحياء علوم الدين. ج3 ص4.

[3] البوصيري، محمد بن سعيد (ت 696هـ): بردة المديح. دار التراث البوديلمي. ص8.

[4] القشيري، عبد الكريم (ت 465هـ): الرسالة القشيرية. 2مج. تحقيق: محمود، عبد الحليم. القاهرة: دار المعارف. ج1 ص218.

لذلك على الإنسان إن أراد النجاة في الآخرة والفوز بالجنّة أن يجاهد نفسَه ويطهّر قلبَه ويخالفَ هواه، وقد بيّن القرآن أنّ من خشي الله وأوثق زمام نفسه فأحجمها عن الهوى فإنّ الجنّة مصيرها ومأواها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النازعات:40-41].

وأمّا إنْ رضي الإنسان عن نفسه وأحسن الظن بها، وتركها من غير زِمام ولا خِطام، وأحبّ أنْ يمدحه النّاس ويشيروا إليه بالبَنان، فإن قام الليلَ أو صام النّهارَ حدّث أصدقاءه؛ ليطروه ويمدحوه مرائيًا بذلك، فإنّه في اليوم الذي قال تعالى عنه: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[سورة الانفطار:19]. "فى هذا اليوم لا يجد المرء ما يعوّل عليه سوى ما قدمت يداه، فيجفوه الأولياء، ويخذله الشفعاء، ويتبرأ منه الأقرباء فلا شفيع ولا نصير، ولا وزير ولا مشير، والحكم لله وحده، وهو المهيمن على عباده، وبيده تصريف أمورهم، وهو الصادق فى وعده، العدل الحكيم فى وعيده، فلا مهرب لعامل مما أعدّ له من الجزاء على عمله"[1] هذه الأعمال قد تورده المهالك في الآخرة، فتحبط عمله وتدفعه إلى الدعاء على نفسه بالثبور والهلاك.

2. **اليأس مما في أيدي الناس سبب للنجاة في الآخرة.**

ينبغي على المؤمن أن يوقن، بأن الله وحدَه مالكُ الضُرّ والنفع، فهو الذي يكشف الضراء ويجلب السراء، وهو المعطي والمغني والشافي، فلا رادّ لفضله، ولا معقّب لحكمه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[سورة الأنعام:17].

قال محمد أبو زهرة في تفسير هذه الآية: "وفيه بيان أن الناس جميعا في سلطان الله، فما يصيبهم من نفع فبتقديره، وما يصيبهم من ضر فبتقديره وإرادته، وهو الكاشف لهذا الضر إن أراد ذلك كله مع الأخذ بالأسباب؛ لأن الأسباب لَا تعمل وحدها، إنما لَا بد معها من إرادة الله تعالى والتوكل عليه؛ ولذلك كان الله تعالى يأمر

[1] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت 1371هـ): تفسير المراغي. ج30 ص68.

بالتوكل عليه بعد الأخذ بالأسباب، لأنها وحدها لَا تعمل إلا مع التفويض، كما أن النوم والتواكل لا يجديان، والتوكل في هذه الحال تواكل وليس اعتمادًا على الله سبحانه وتعالى"[1].

وبعد تيقّن المؤمن أنّه لن ينفعه غيرُ الله وليًا، وأنّ الناس لن يجلبوا له نفعًا لم يكتبه الله، ولن يصيبوه بضرّ لم يقدره الله، وقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم صِدْقَ التوكلِ على الله بجوامع كلمه عندما أوصى ابن عمّه الغلام فقال له: "واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ"[2].

قال ابن دقيق العيد في شرح الحديث أعلاه: "أرشده إلى التوكل على مولاه وأن لا يتخذ إليه سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قل منها وما كثر وقال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّل على اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} فبقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله فقد أعرض عن ربه بمن لا يضره ولا ينفعه"[3].

فعلى المؤمن أن يتوكل على الله ولا يلجأ إلّا إليه، ولْيَزهدْ بما في أيدي الناس، ولييأسْ من نفعهم وضرهم، خاصة من يتزلف للظالمين أصحاب المناصب، فإنّه إنْ ركن إليهم في الدنيا فإنّه لن يستطيع أن يركن إليهم في الآخرة، بل سيدعو على نفسه ثبورًا، فسيقنط من نفعهم، ويقطع الأمل من خيرهم يوم القيامة، ففي ذلك اليوم لا تملك نفس لنفس شيئًا.

[1] أبو زهرة، محمد (ت 1394هـ): زهرة التفاسير. 10مج. دار الفكر العربي. ج5 ص458.

[2] الترمذي: سنن الترمذي. ج4 ص667 رقم: 2516 قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح.

[3] ابن دقيق، محمد بن علي (ت702هـ): شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. ط6. مؤسسة الريان. (1424هـ-2003م). ص77.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، وبعد:

أقول في ختام هذه الرحلة البحثيّة الطويلة، التي تجولتُ أثناءها في كتب التفسير القرآنيّ وعلم النفس، فتجوّلت بين أزهارهما وقطفت من ثمارهما، باحثًا عن معاني الانفعالات النفسيّة التي وردت بمشاهد يوم القيامة، متتبعًا لسياقها، مستنبطًا الحكمة من وصفها وتصويرها، وأستطيع أن أوجز أهم النتائج التي توصلت إليها بالنقاط الآتية:

1. لقد أولى القرآنُ الكريمُ الانفعالاتِ النفسيّةَ أهمية بالغة، وعناية فائقة، فصوّر حالات فرح المؤمنين، وسرورهم عند تبشيرهم بما ينتظرهم من القصور والحبور في جنات النعيم، كما صوّر حالات الخوف، والذعر، والفزع، التي تسيطر على الكافرين العاصين في أهوال يوم القيامة، فتورثهم الندم، والقلق، واليأس.
2. الانفعالات النفسية التي ركّز القرآن الكريم على تصويرها، ووصفِ آثارها النفسيّة في جزء عمّ هي:

أ. عند أصحاب اليمين: الفرح، الرضا، الطمأنينة، الاستبشار.

ب. عند أصحاب الشمال: الحزن، الندم، الذل، الفزع، اليأس.

3. مَقصِد الخّطاب القرآنيّ من الاسترسال في ذكر مشاهد يوم القيامة يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة وهي:

أ. الدعوة إلى الإيمان.

ب. إنذار المعرضين وإرشاد الضالّين.

ج. ردع الظالمين وإيناس المؤمنين.

4. من مقاصد بيان الانفعالات النفسيّة لأصحاب اليمين في يوم القيامة:

تحقيق الأمن النفسيّ للقارئ، والحثُّ على الأعمال الصالحة المؤهلة إلى الفرح في الآخرة بدخول الجَنَّةِ، وتقريب المشهد للقارئ، وتحفيز المؤمن نحو النظر إلى عواقب الأمور ببيان النفع العائد إلى الإنسان.

5. من مقاصد تصوير الانفعالات النفسيّة لأصحاب الشمال في يوم القيامة:

الزجر عن فعل المعاصي بالترهيب من عذاب يوم القيامة، وإعطاء مِساحة من التفكير للموازنة بين مآلات الأمور، وربط الخسارة الأخرويّة بالخسارة الدنيويّة لتقريب المشهد، والحث على تقديم العمل الصالح في الدنيا وانتهاز الفرصة قبل زوالها، والبراءة من الظالمين.

التوصيات:

1. اقترح أن يُبحث موضوع "مقاصد الانفعالات النفسيّة في القرآن الكريم"، فيوجد شح في الدراسات المكتوبة حول الانفعالات النفسيّة في القرآن الكريم.
2. أوصي بدراسة التأثير النفسي الذي يركّز عليه سيد قطب في كتابيه: "في ظلال القرآن" و"مشاهد القيامة في القرآن الكريم".
3. بما أنّ جزء عمّ هو الأكثر تلاوة وحفظًا ودراسة، لدى كبار المسلمين وصغارهم، خواصهم وعوامهم، فأوصي بدراسة أهم المواضيع والمقاصد التي يركّز عليها هذا الجزء.
4. أوصي أن تُبحثَ الانفعالات النفسيّة لمشاهد يوم القيامة في جزء تبارك وغيره من الأجزاء.
5. دراسة المظاهر النفسيّة التي يركّز القرآن على تصويرها، كحالة الوجه.
6. دراسة أكثر الانفعالات تصويرًا لمشاهد القيامة في القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن: (ت: 327هـ). تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. 13مج. تحقيق: محمد. أسعد. ط3. المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى. (1419هـ).

ابن إسحاق، محمد (ت: 151هـ): السير والمغازي، ط1، بيروت: دار الفكر، (1398-1987م).

الأشقر، عمر بن سليمان (ت:1433هـ): القيامة الكبرى. ط 6. الأردن: دار النفائس. 1415هـ.

الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط:1. بيروت: دار القلم. 1412هـ.

الألوسي، محمود بن عبد الله (ت1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: عطية، عبد الباري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ).

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن (ت: 905هـ): جامع البيان في تفسير القرآن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1424هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:256هـ): صحيح البخاري. ط1. تحقيق جماعة من العلماء. مصر: الطبعة السلطانية، 1422هـ.

ابن بطال، علي بن خلف (ت449هـ): شرح صحيح البخاري. تحقيق: بن مخلف، علي. ط2. السعودية: مكتبة الرشد. (1423هـ-2003م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. (1404هـ-1984م).

البوصيري، محمد بن سعيد (ت 696هـ): بردة المديح. دار التراث البوديلمي.

البيضاوي، عبد الله بن عمر (ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: المرعشلي، محمد. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1418هـ).

الترمذي، محمد بن عيسى (ت279هـ): سنن الترمذي. تحقيق: شاكر، أحمد. ط2. مصر: مصطفى البابي الحلبي. (1975م-1395هـ).

ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ): مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد. ط3. السعودية: دار الوفاء. 1426هـ.

الجديع، عبد الله: المقدمات الأساسية في علوم القرآن. ط3. مركز البحوث الإسلامية ليدز. (1428هـ-2007م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، (ط.1/ 1403هـ-1983م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ): نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: كاظم، محمد. ط1. لبنان: مؤسسة الرسالة. (1404هـ-1984م).

ابن حبان، محمد بن حبان (ت 354 هـ): التقاسيم والأنواع. تحقيق: سونمز، محمد علي. ط1. بيروت: ابن حزم. (1433هـ-2012م).

ابن حجر، أحمد بن علي(ت 852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري. 13مج. ت: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ.

ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت: 456هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل. مكتبة الخانجي.

حسين، إبراهيم، ومجموعة باحثين: موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. مركز تفسير للدراسات القرآنية.

حوى، سعيد (ت 1409هـ): الأساس في التفسير. ط:6. القاهرة: دار السلام. (1424هـ).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح (ت 2022): نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. ط1. عمان: دار الفرقان.

الخطيب، عبد الكريم (ت:1390 هـ): التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

ابن دقيق، محمد بن علي (ت702هـ): شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. ط6. مؤسسة الريان. (1424هـ-2003م).

ديكارت، رينية، (ت: 1993م)، انفعالات النفس، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي.

الذهبي، شمس الدين (ت 748هـ): سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط3. مؤسسة الرسالة. 1405هـ.

راجح، د. أحمد عزت، أصول علم النفس. ط: 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث. للنشر والتوزيع. 1982

الرازي، محمد بن أبي بكر (ت666هـ): مختار الصحاح. تحقيق: محمد، يوسف. ط5. بيروت: المكتبة العصرية. (1420هـ-1999م).

ابن رجب، عبد الرحمن (ت 795هـ): التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار. تحقيق: طلعت، الحلواني. ط1. دار الفاروق الحديثة.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد (ت 795 هـ): جامع العلوم والحكم. تحقيق: الأحمدي، محمد. ط2. دار السلام. (1424هـ-2004م).

رضا، محمد رشيد (ت 1865هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). الهيئة المصرية العامة. (1990م).

الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السري (ت311هـ): معاني القرآن وإعرابه. تحقيق: شلبي، عبد الجليل. ط1. بيروت: عالم الكتب. (1408هـ-1988م).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت1932هـ): في العقيدة والشريعة والمنهج. ط1. دمشق: دار الفكر. (1411هـ-1991م).

الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت: 1376هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن. ت: هاني الحاج. مصر: التوفيقية.

الزمخشري، محمود بن عمرو (ت538 هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. 4مج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

الزمخشري، محمود بن عمرو (ت538هـ): الفائق في غريب الحديث والأثر. تحقيق: البجاوي، علي محمد. لبنان: دار المعرفة.

أبو زهرة، محمد (ت 1394هـ): زهرة التفاسير. 10مج. دار الفكر العربي.

السامرائي، هاشم جاسم: المدخل في علم النفس. بغداد. 1988

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا. ط:1. مؤسسة الرسالة. 1420هـ.

أبو السعود، محمد بن محمد (ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 9مج. بيروت: دار إحياء التراث.

السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. 7 مج. ط: 1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1412هـ.

سيد قطب ، (ت: 1966م)، في ظلال القرآن، بيروت: دار الشروق.

سيد قطب ، (ت: 1966م)، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، القاهرة: دار الشروق.

سيد قطب، (ت: 1966م)، التصوير الفني في القرآن، بيروت: دار الشروق.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (ت 1394هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

الصابوني، محمّد علي، (ت: 2021)، صفوة التفاسير، ط: 11، دار الصابوني، 2013م.

الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن. ت: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة. ط:1.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.

عبد الباقي، محمد فؤاد (ت1968م): المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط4. بيروت: دار الفكر. (1418هـ-1997م).

عبده, محمد (ت: 1323هـ): تفسير القرآن الكريم. ط:3. مصر: الجمعية الخيرية الإسلامية. 1341هـ.

العسكري، الحسن بن عبد الله (ت395هـ): معجم الفروق اللغوية. تحقيق: بيات، بيت الله. ط1. مؤسسة النشر الإسلامي. (1412هـ).

ابن عطية، عبد الحق (ت 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام، عبد الشافي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1422هـ).

العقاد، عباس محمود العقاد (ت:1964م): الإنسان في القرآن. ط4. القاهرة: نهضة مصر. (2005م).

الغزالي، محمد أبو حامد (ت: 505هـ): إحياء علوم الدين. 4مج. بيروت: دار المعرفة.

الغلاييني، مصطفى (ت: 1944م): جامع الدروس العربية. تحقيق: جاد، أحمد. القاهرة: دار الغد الجديد. ط1. (1438هـ-2016م).

ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م).

الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت 606هـ): مفاتيح الغيب. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ)، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت 817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. 6 مج. تحقيق: النجار، محمد علي. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الفيومي، أحمد بن محمد (ت 770هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. 2مج. بيروت: دار الكتب العلمية.

القاسمي، جمال الدين (ت 1332هـ): محاسن التأويل. 9مج. تحقيق: باسل. محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1418هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671هـ): التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. ت: الصادق بن محمد. ط1. دار المنهاج. 1425هـ.

القرطبي، محمد بن أحمد (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن. ت: البردوني. أحمد وأطفيش. إبراهيم. ط:2. مصر. دار الكتب المصرية. 1384هـ.

القزويني، محمد بن عند الرحمن (ت: 739هـ): الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: عبد المنعم، محمد. بيروت: دار الجيل. ط3.

القشيري، عبد الكريم (ت 465 هـ): الرسالة القشيري. تحقيق: محمود. عبد الحليم. القاهرة: دار المعارف.

القشيري، عبد الكريم (ت 465هـ): الرسالة القشيرية. 2مج. تحقيق: محمود، عبد الحليم. القاهرة: دار المعارف.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): الداء والدواء. ط1. المغرب: دار المعرفة. (1418هـ-1997م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ): مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: البغدادي، محمد. ط3. دار الكتاب العربي. (1416هـ).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ): الروح. تحقيق: كمال الجمل

ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ): كتاب التبيان في أقسام القرآن. دار المعرفة.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي السلامة. ط:2. دار طيبة. 1420هـ.

الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء (ت: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش. محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. 2006.

المحاسبي، الحارث بن أسد (ت: 243هـ): آداب النفوس. تحقيق: عطا. عبد القادر. بيروت: دار الجيل.

مختار، أحمد (ت: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة. ط: 1. عالم الكتب.

المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): تفسير المراغي. 30مج. ط1. مصر: مكتبة مصطفى البابي. (1365هـ-1946م).

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261 هـ): صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1374هـ.

مصطفى إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

مصطفى، معتصم بابكر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم. ط1. الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. (2003م).

الملا القاري، علي بن حسن (ت: 1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. ط:1. بيروت: دار الفكر. 1422هـ.

المليجي، حلمي: علم النفس المعاصر. ط 8. بيروت: دار النهضة العربية. 2000م.

المناوي، عبد الرؤوف (ت 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف. ط1. القاهرة: عالم الكتب. 1410هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، (المتوفى: 711هـ) لسان العرب، دار صادر –بيروت، (ط3/1420هـ).

موارى، إدوارد: الدافعية والانفعال. ط1. القاهرة: دار الشروق. 1988م.

النجاتي، محمد عثمان: القرآن وعلم النفس. ط7. مصر: دار الشروق. (1421هـ-2001م).

النسفي، عبد الله (ت 710 هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل. تحقيق: بدوي، يوسف. بيروت: دار الكلم الطيب. (1419هـ-1998م).

أبو نعيم، الأصبهاني (ت: 430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. مصر: مطبعة السعادة. (1394هـ-1974م).

الهاشمي، أحمد (ت1362هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية.

الواحدي، علي بن أحمد (ت: 468): الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد، عادل. بيروت: الكتب العلميّة. ط1، (1415هـ-1994م).

وردة، بلحسيني وسعاد، بوسعيد: استراتيجيات تنظيم الانفعالات. الجزائر: رابطة الأدب الحديث. 2017

بني يونس، د. محمد محمود، سيكولوجية الدافعية والانفعالات. ط: 2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2009

الرسائل العلمية:

بورويسة، زينة، التناسق الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب، مجلة المعيار، 2018م.

علي، زيتونة: بلاغة الضد ودوره في التماسك النصي في القرآن الكريم. الجزائر: مجلة إشكالات في اللغة والأدب.

الهاشمي، عبد الحميد محمد: لمحات نفسية في القرآن الكريم. ط2. دعوة الحق. العدد 11. صفر، 1406هـ.

مقالات من الإنترنت:

مقال من الإنترنت للكاتب بشير معمرية، بعنوان: "تصميم مقياس لليأس للراشدين وتقنينه على البيئة الجزائرية"، انظر: https://psyc.sudanforums.net/t1496-topic#1893

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

THE PSYCHOLOGICAL EMOTIONS OF THE SCENES THE DAY OF JUDGMENT

AN APPLIED STUDY IN THE PART OF AMMA

By

Muhamad Osama Ahmad Shehade

Supervisor

Dr. Amer Jodallah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Religion (Isul Al-deen), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.

2023

THE PSYCHOLOGICAL EMOTIONS OF THE SCENES THE DAY OF JUDGMENT
AN APPLIED STUDY IN THE PART OF AMMA

By
Muhamad Osama Ahmad Shehade
Supervisor
Amer Jodallah

Abstract

The Qur'an mentions the Doomsday, describing its horrors, its scenes, and the conditions of the people in it. There is hardly a surah of the Qur'an not mentioning it, and an Amma part has been singled out in this research and not others. Because it is dominated by the mention of the Doomsday, and the portrayal of its horrors, in addition to that it is distinguished in a special style, in depicting those scenes in terms of the sound of the letter, the structure of the word, and how the verse (Aya) ends. So, it accurately depicts the states of fear that frighten the unbelievers, and the states of joy and pleasure that reassure and relieve.

In this study, the researcher focused on the two approaches: Analytical and inductive. Focusing on psychological emotions, which were referred to in the Qur'anic verses (Aya) from the part Amma, and talked about people's psychological states on the Doomsday.This study includes three chapters; An introductory chapter and two practical chapters:

In the introductory chapter, the researcher explains the concept of emotion, then showcases the meaning of the soul in the Islamic perspective, its types, and the factors influencing it. Later presenting the eschatological scene in the Qur'anic discourse, and its purposes.

In the second chapter, the researcher talked about the emotions of believers in Amma part, Focusing on four emotions: joy, tranquility, laughter, and contentment, explaining their meanings, depicting the scenes in which they were mentioned, and indicating the purpose of their mention.

In the third chapter, the researcher talked about the emotions of the people of unbelievers. Focusing on five emotions: sadness, fear, remorse, panic, despair, explaining their

meanings, and depicting the scenes in which they were mentioned, and indicating the purpose of their mention.

The study concluded a number of results, represented by the fact that the Qur'an has taken great care in portraying the psychological emotions of the scenes of Doomsday. One of the purposes of mentioning these emotions is to bring the image closer to the reader. Intimidate the disobedient from a bad consequence, and to motivate the believer to do good deeds.

Keyword: Emotion, Self, Believers, Unbelievers, the Scenes the Day of Judgment.